القـــزم

القزم – رواية
صدر العمل الأصلي عن دار نشر Jonathan Cape 2007 UK
بعنوان RUNT
ترجمة : ريهام عبد الجواد

الغلاف : هانيبال – هيبو
الطبعة الأولي/ القاهرة ٢٠١٤

ISBN: 978 – 977 – 6299 –28-8

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، وبحظر نشر أو إقتباس أي جزء من هذا العمل أو كله إلا بإذن كتابي.

ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية
Sphinx Agency © 2014

نيال جريفيث

القزم

ترجمة / ريهام عبد الجواد

وكالة سفنكس

المؤلف

وُلِدَ نيال جريفيثز في مدينة ليفربول عام ١٩٦٦، يعيش الآن في مقاطعة ويلز، وقام بنشر ستة روايات وهي : الصخور، الخروف، الفظ، كيلي وفيكتور، بقايا حياة، والحطام. وهو يعد حالياً أحد أهم الأصوات الشابة في الأدب الويلزي الحديث.

المترجمة

ريهام عبد الجواد – ولدت بالقاهرة، وتخرجت من كلية التربية بجامعة عين شمس وحصلت على الدبلوم العام للآداب والدبلوم الخاص في الأدب الإنجليزي، تدرس لنيل درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي.

كان الصيف الماضي في حياتي مزدحماً بالأحداث والمشاكل، التي لم أعايشها من قبل. . ففي ذلك الصيف تركت المدرسة، وكان ذلك أمراً سار لي، ومن فرط سعادتي أخذت أرقص كما لم أرقص من قبل. . وتوالت الأحداث :

دفعني زوج أمي ذلك الوغد الأسمر إلى الخارج، للجبل حيث منزل خإلى درانكل، وقد مهدت أمي بيثان، حين أخبرتني بحاجة خإلى درانكل لي، فهو يعاني من الوحدة، بعد أن فقد فاي زوجته التي أحب أن أسميها سكانتي، التي وجدت معلقة بأعلى شجرة وجسدها ممزق بطريقة مبهمة. . لم يغب عني أن أمي وزوجها يخفيان غرضهما الحقيقي من رحيلي وأنهما يرغبان في الانفراد بحياتهما الخاصة بدوني.

رحب درانكل بذلك قائلاً:

– بالطبع، تعإلى وابق معي.

خاصة بعدما قام البيطريون بإطلاق النار على كل خراف درانكل وفاي بالرغم من عدم وجود أي أعراض للحمي القلاعية عليها، فقد أطلقوا عليها النار فحسب وتركوها مبعثرة حول الشجرة التي تسلقتها العمة سكانتي لتشنق نفسها على فرع منها، ولا أتذكر أي شجرة كانت بالضبط.

كما مات آرثر، ذلك الرجل ذو الوجه الأسمر القبيح الذي كنت أراه من عالم آخر كما يصوره خيالي في أحلامي، وقد دفن في الجبل مع كلبي الطيب آرن الذي رحل أيضاً وإن كان لا يغيب عن ذاكرتي، فقد كنت أحبه وأري بعينيه! .. رحل آرثر ولم تتسلق زوجته أي شجرة لتنتحر مثل فاي ولكنها جعلتني أحلق في السماء من السعادة عندما لمستني ولازلت أستعيد لحظات ممارستها الحب معي ،الذي ترك شعوراً مختلفاً عن شعوري في أحلامي التي راودتني ذلك الصيف مع فاي ومع أتباعي من عالم الأرواح - الذي نٍ يسمونهم بالأسياد - كنت أري كوكب الأرض في خيالي صغيراً جداً كحبة البازلاء الخضراء عندما استغرق في أحلامي.. تلك الأحلام يطلق عليها البعض كالمعلمين وأمي "نوبات صرع" بينما كان يطلق عليها زوج أمي، مس من الجنون، وكان ذلك وصفاً قاسياً مثله ولا أكترث له ،بل هذه النوبات التي كانت تصيبني، أسميها "أحلامي" مثلما وكان درانكل يوافقني في هذا التعبير أيضاً، وقد عايشت

بعضاً منها الصيف الماضي فكانت أشياء كثيرة تبدو لي وتغيب ،وسمعت صوت الثور سنوبول نفق في حظيرة أبقار درانكل بعدما أُطلق عليه النار منذ فترة بعيدة لا أتذكرها لصغر سني آنذاك. وسمعت آرن الذي افتقدته كثيراً يناديني ورأيت حجارة ووحشاً لم يره أحد مثلما لم أر وحش بحيرة بالا أبداً على شاشة حاسب درانكل الإلى.. وقعت أحداثاً كثيرة في الصيف الماضي بعضها أسعدني كثيراً والبعض الآخر جعلني أشعر بالوحشة والظلمة كظلمة الحفرة التي وقع فيها آرن وآرثر أو كظلمة بحيرة بالا التي رأيتها على شاشة درانكل.. وأهم شئ أتذكره في أحلامي هو شعوري بالسكينة والهدوء الذي كان ينتابني قبل الدخول فيها وكانت الأحداث سريعة فأري بأحلامي غرباناً وأسمع صوت ديناصورات وأشعر بنفسي معلقاً في الهواء ثم منغرساً في الوحل وكأنما كانت هناك قوة خفية تلقي بي أرضاً.

حينما تركت تلك المدرسة الغبية، كان الجو ممطراً ورقصت تحت المطر في الفناء بالقرب من القناة حيث اعتدت مشاهدة الضفادع ولا أنسي ما قام به ثعبان ضخم حين ابتلع ضفدعاً أمامي يوماً ما.. ضحك على بعض الصبية عندما رأوا طريقة رقصي ولكني لم أكترث لذلك فقد كنت أشعر بسعادة غامرة لتحرري وابتعادي عن المعلمين وعن كل تلك الحوائط بالمدرسة، سعادة غطت على تأثري بردود

الأفعال الصبيانية هذه وبعد أن انتهيت من الرقص، ركضت إلى أسفل الممر الضيق ومنه إلى داخل البلدة حيث توغلت فيها حتى دخلت حديقتي ومرحت مع كلبي الذي أسميته آرن فالاسم يماثل الصوت الصادر منه حين يزوم على من كانوا يخافونه، بالطبع فيما عداي لأنه كان كلبي الذي أحببته وأحببت أذنيه الحمراوتين وأحبني بدوره. . أراد آرن أن يتبعني إلى داخل المنزل لكنه لم يستطع فقد كان عليه أن يظل بالخارج طوال الوقت حتى مع هطول المطر والثلج من السماء فكان زوج أمي يكرهه ويقول أنه متسخ، وكان آرن يزوم عند رؤيته .

عندما دخلت المنزل، كانت أمي تجلس على المائدة وتغطي وجهها بيديها وزوجها واقفاً خلفها ووجهه أكثر إحمراراً من أذني آرن ونظر إلى ثم أدار إلى ظهره قائلاً:

- بحق المسيح، إبعديه يا بيثان.

فتنهدت أمي وعاد زوجها يقول:

- لن أتراجع، إبعديه عن هنا، هذا الوغد الصغير وإلا سأبرحه ضرباً، فأنت تعلمين جيداً أنه يمكنني فعل ذلك ولن أبالي بكونه صبياً .

طلبت مني أمي وهي ترتجف الصعود لأعلى وصاح زوجها قائلاً شيئاً فانتفضت من الخوف ونبح آرن بالخارج، فأخبرته أمي أنها

طلبت من شخص ما أن يأتي ويأخذني معه لأعلى إلى الجبل ورفعت يديها من على وجهها وبدت احدي عينيها أشبه ببيضة طائر أسود رأيتها يوماً ما في حلم من أحلامي وقد وقعت من على الشجرة وانكسرت فخرج منها طائراً صغير جداً، جسمه أزرق اللون ومنتفخاً ومتعرقاً . . بعد سماع كلام أمي الذي أرغمها عليه زوجها، شعرت بوجهي شديد الحمرة والسخونة وقفزت مستشيطاً غضباً على زوج أمي الوغد ولكنه أمسك برقبتي فلم أستطع الصراخ وقتئذ فصرخت أمي بدلاً مني وألقي بي خارج المنزل ، فأضمرت في نفسي ومعي آرن أن نقتله يوماً ما كقتل الصقور للجرذان، بل رأيت هذه الخطة تتمثل في خيالي، فكان آرن يمسك بزوج أمي من حنجرته بأسنانه ويهز رأسه مثلما فعل بفأر كبير بأعلى في المناطق الجبلية في مزرعة درانكل، وأصبحت كنت أتوق للصعود بعيداً عن أمي وزوجها .

جلسنا في السيارة القديمة البنية اللون ذات العجلات الباليه ووضعت أنا و آرن خططنا لقتل زوج أمي الوغد وضحكنا عندما تخيلناه ميتاً فشعرنا بالراحة وشعرت بأن عالمي وعالم آرن الذي كان ينتمي إليه والذي لم أعرفه - بل أتخيله في أحلامي- سيكونان أفضل بموته. . كان آرن يجعلني أشعر بالراحة ولكن لم يكن أفضل من شعوري بترك المدرسة للأبد فلم أعد أحتاج لشعور أفضل من ذلك،

ولكن زوج أمي الوغد الذي تمنيت موته يوماً ما كان يجعلني متشائماً ويجعلني أشعر بالسقم.. جلسنا أنا و آرن في هذه السيارة المتهالكة وكأننا بداخل طبلة فقد كانت السماء تمطر على سطحها الصدئ مصدرة صوتاً كقرع الطبول الذي جعلني أتقوقع وأدخل في حلم من أحلامي فتدور رأسي كالدوامة التي لم أستطع فعل شئ حيالها سوي الاستسلام لها وكانت هذه هي طريقة بداية أحلامي قبل أن يختفي كل شئ أمامي وأسبح في الفضاء الواسع مطلقاً العنان لخيالي.. ولكن سرعان ما قاطعني صوت شاحنة درانكل وجذبني بعيداً عن حلمي قبل بدءه إلى الواقع ثانية، وشاهدت درانكل يدخل المنزل كما سمعت بعض الصياح لدرانكل وأمي وزوجها ثم خرج درانكل من الباب الخلفي، وقف في المطر وكان يبحث عني وابتسم عندما رآني في مقعد السائق في السيارة و آرن بجواري، تقدم درانكل مترنحاً، مال بجسده داخل السيارة واستطعت شم رائحة أنفاسه المليئة بالخمر الذي يكثر من شربه في الحانات.

– ماذا إذاً؟.. خرجتما لتتنزها بالسيارة.. إليس كذلك؟!.. هل تعلمان أن الكلاب يمكنها قيادة مثل هذه الأنواع من السيارات، وربما قيادة سيارة روفر؟!

ضحك وداعبني وداعب آرن أيضاً الذي هز ذيله سعيداً لأن درانكل لم يكن يخيفه.

- هل تريد أن تركب معي في الشاحنة ؟

- إلى أين ؟ !

- هناك . . إلى منزلي الذي تحبه .

تظاهرت بأني أفكر في الأمر ملياً بالرغم من موافقتي على عرضه في نفسي ولم أكن أعلم سبب تصرفي هذا - تظاهري بالتفكير في بعض الأمور التي حسمتها بالموافقة في عقلي- ولكني أسعد بذلك فحسب.

- هل يمكن لـ آرن أن يأتي معي ؟

- بالطبع يمكنه المجيء يا صاح، فعندي بعض نقانق اللحم تكفيه عاماً كاملاً.

- إذاً، اتفقنا !

هز آرن ذيله عدة مرات وفرحت أنا أيضاً فرحاً شديداً لذهابي إلى منزل درانكل الذي أحببته لأنه كان في مكان عال وبعيداً جداً عن البلدة وكنت سعيداً بشعوري أن أمي وزوجها لن يفكران في الصعود إلى منزل درانكل، فلم يغادر زوج أمي البلدة أبداً من قبل ولا حتى أمي بالرغم من رغبتها في ذلك وقد حاولت ولكنها عادت أدراجها سريعاً . . أحببت الصعود لأعلى، فأعلى حيث السحب والمساحات الخضراء الصعب رؤيتها في بعض الأحيان نظراً لكثافة الضباب الشديدة التي كانت تزيد وتتصاعد كتصاعد بخار الماء من

الثريد أو الشاي أو الخبز بالحليب الساخن الذي كان يصنعه لي درانكل أحياناً على الإفطار. . أحببت الطيور الكبيرة المحلقة في الهواء الرمادي اللون في تلك المناطق المرتفعة وأحببت قطع الثلج الأبيض التي كانت تغطي الجبال، حتى وإن كان الجو مشمساً بالأسفل، كما أحببت الصقور الجارحة والثعالب والغريرات التي كانت تظهر في المساء، فالمكان هنا كان مختلفاً عن العالم باسفل وأحببته أكثر لارتفاعه ولأصوات الكائنات التي كنت أسمعها عندما كان الصمت يسود المكان، كما أحببت النظر إلى صورة وجهي على سطح مياه البحيرة.

كان درانكل يقود ببطء كعادته وأحياناً أخري، كان يسرع بسيارته فاعتقدت أنه سيخترق السور أثناء القيادة وأننا سنتدحرج لأسفل إلى قاع الوادي وسنلقي مصرعنا نحن الثلاثة. كان آرن يزوم في المقعد الخلفي من الذعر الذي لم يشعر به أبداً من قبل.

قال درانكل:

– إذاً، ما شعورك لعدم رؤية زوجة خالك. . زوجتي مرة أخري؟!

لم أستطع الإجابة على سؤاله لاعتقادي أنني سأراها مجدداً في مكان ما وحتى إن لم أرها ثانية، ماذا عساي أن أقول لـ درانكل عن شعوري حيال ذلك؟ ! . . كان درانكل يسأل هذه الأسئلة طوال الوقت وهو في الطريق إلى منزله فوق الربوة العالية . . تلك الأسئلة التي لم أستطع الإجابة عليها أبداً .

– تعلم ما حدث، إليس كذلك؟

أومأت بالإيجاب، فقد كنت أعرف قصة البيطريين وإطلاقهم النار على الخراف جميعها بغير وجه حق مما تسبب في انتحار فاي بشنق نفسها بحبل على شجرة.

وجدها درانكل في صباح اليوم التالي بعدما ظل يبحث عنها في كل المناطق الجبلية في الظلام وسط العواصف، فقطع الحبل الملتف حول رقبتها بسكين وأنزلها أرضاً . . كنت أطلق على فاي أحياناً في ذهني اسم العمة سكانتي لأنها امتطت حصاناً يوماً ما وهي ثملة وشبه عارية ومرتدية فقط ملابسها الداخلية الرقيقة الشفافة وركض الحصان بها وسط سوق ليلانيبايدر الذي كان مكتظاً في ذلك اليوم، يوم التسوق الرئيسي به، فصاحت كل النساء وأخفي كل الرجال شعورهم بالإثارة آنذاك ولكنهم لم يمضوا بعيداً عنها لطريقتها الجذابة والمثيرة جداً .

قال درانكل وهو يشرب من زجاجة بيد ويقود باليد الأخري:

– أطلق البيطريون النار على الخراف جميعها بالرغم من أن حالتها كانت جيدة جداً وكنت سأعلم أنا و فاي إن لحق بهم سوء، حتى إن حدث فكان ينبغي على هؤلاء البيطريين أن يطلبوا منا الذهاب بها للحجر الصحي، ففيروس الحمى القلاعية لا ينشط إن بعد عن الجسم المضيف لأكثر من مائة ياردة، أتعلم ذلك؟ !

– نعم علمت ذلك .

ولكنه لم يسمعني فقد أستكمل حديثه وقيادته وهو يحتسي الخمر من الزجاجة بيده. . مررنا ببعض الأشجار التي كان يسطع من خلالها ضوء الشمس وينفذ إلى الشاحنة، كنت أعرف كل مخلوق صغير في تلك الغابات، كل حيوان بدأً من الأيائل حتى الكائنات الدقيقة صغيرة الحجم، عرفت تلك المخلوقات بالاسم وعرفت حياتها وماكلها ومشربها والكائنات التي كانت تتغذي عليها . . أحببت كل تلك المخلوقات حتى العناكب والقمل والبوم بمخالبها والقواقم بأفكاكها وحتى تلك الحشرات الطائرة البرتقالية اللون البشعة التي تبني بيوتها في البرك، وكنت على وشك الدخول في نوبة من نوباتي– تلك الأحلام – إلا أن لسان آرن الدافئ الرطب الذي شعرت به على أذني قد أعادني إلى الواقع، إلى الشاحنة وحديث درانكل، فكان آرن يلعق أذني خائفاً بعض الشئ من قيادة درانكل المتهورة. . سعدت جداً لأن آرن قد حال دون دخولي في حلم من أحلامي فلم أكن مستعداً له في ذلك الوقت.

سأل درانكل سؤالاً ممن لا إجابة له:

- كيف عسايّ أن أعرف؟ !

كانت ذقنه مبتلة بالخمر.. لم يكن يتحدث إلى ! بل إلى زجاجته والسماء والضباب من حوله.

- جماعة ملعونة، كما لو كان هناك في الحياة شئ أفضل يمكنه تعويضي عن حبيبتي فاي، فكل مال الدنيا اللعينة لا يساوي شيئاً أمام رؤيتك لزوجتك ميتة مشنوقة على شجرة.

اندهشت قليلاً لرؤيتي درانكل يبتسم إبتسامة عريضة ويمسك بركبتي ويهزها في يده بشدة.

- ما زلت محظوظاً لأني فزت بك يا ابن أختي المميز، إليس كذلك؟ !

ابتسمت له بدوري وهو يسترسل :

- و آرن، لا ينبغي على نسيان ذلك الكلب العجوز، فسنمضي قدماً نحن الثلاثة وسنشكل جيشاً قوياً لا ينهزم، إليس كذلك؟ !

أومأت مرجحاً كلامه، أحببت مداعبته لي ولكن تمنيت أكثر تركيزه في القيادة لأن السيارة كانت تتخبط في الطريق وقطرات الخمر تتساقط من فمه.. كما أحببت جداً جيشنا المكون منا نحن الثلاثة: أنا و درانكل و آرن في مواجهة آرثر الشرير وزوج أمي الوغد والبيطريين وكل من اعتدي على ممتلكات الغير بغير وجه حق،

المتسببون في انتحار من لا ذنب له.

شعرت بالسعادة وأنا مع درانكل و آرن في الشاحنة بالرغم من موت الخراف والعمة سكانتي وبالرغم من تصرف أمي السيئ تجاهي الذي أرغمها عليه زوجها الملعون.

– أنت مميز يا فتي، أتعلم ذلك؟ ! . . لست كبقية الصبية فثمة شئ مختلف يميزك عن الآخرين.

قلت في عقلي: ها قد بدأنا ! . . بدأ درانكل في الحديث بطريقة غريبة كعادته عندما كان يحتسي قدراً كبيراً من الخمر، كان يتلفظ بكلمات لا يمكنني فهمها أبداً ولكن بدت أحياناً كلمات جميلة ككلمة "مميز" وكانت جميعها مضحكة وكأنما تخيل درانكل نفسه في عالم مختلف عن عالمنا حيث كان يتحدث مع الجميع بنفس طريقته فلم يبد غريباً بينهم.

– تحدث لك نوبات معينة تجعلك تنفصل عن الواقع وتغيب عن الوعي وتتخيل أشياء لا وجود لها، أتفهمني؟ !

فهمت ما عناه بالرغم من عدم وضوح بعض كلماته. رأيت سارية كبيرة بيضاء على قمة الجبل الأخضر حيث منزل درانكل الصغير.

– جرحك هو السبب في تلك النوبات الصرعية التي تحدث لك.

قلت له:

- أنا لست مجروحاً، فقد أمسك بي زوج أمي من رقبتي فحسب، ولكني على ما يرام، لا تقلق يا خالي.

ضحك قائلاً:

- جرحك غير ظاهر.. جرحك داخلي في نفسك، وهذا الجرح هو سبب تلك الأحلام التي تدخل فيها عندما تنفصل عن العالم من حولك والتي تجعلك مختلفاً عن الآخرين.. لماذا ينبغي عليك تحمل كل هذه الأعباء والآلام بداخلك؟!

عندما قربنا من منزل درانكل رأيت شبحين قد ظهرا فجأة واختفيا بسرعة وأصبحت قمة الجبل شاهقة جداً حينئذ لدرجة يصعب رؤيتها.

- جئت هنا لمساعدتي في اجتياز محنتي، ولمساعدة الآخرين في التغلب على آلامهم. كان هناك الكثير أمثالك منذ بدء الخليقة ولكنهم أصبحوا الآن نادرين!

توقف درانكل عن الكلام وكنت سعيداً بذلك لأنه كان يتحدث عن أمور لا أعرفها ولم أكن أريد معرفتها حقاً لأني أردت أنا و آرن الخروج من الشاحنة ودخول المنزل، فلم يذق آرن طعم الراحة في المقعد الخلفي للسيارة حيث كانت مخالبه تقرقع على النوافذ طول الطريق. شرب درانكل من زجاجته، نظر إلى الجبل، أوقف الشاحنة ثم نظر لي وابتسم ابتسامة عريضة.

– حان وقت احتساء الشاي، أليس كذلك؟ ماذا تحب معه؟

أردت بيضاً مقلياً فقال:

– لك هذا، سأعد لك بيضاً.

خرجنا من الشاحنة وركض آرن كالمجنون عابراً الفناء الملئ بالسماد وأخذت أنادي عليه ليعود أدراجه ولكن أوقفني درانكل قائلاً:

– لا تنزعج يا صاح، فهو سعيد مثلك لأنه بعيداً عن زوج أمك ولم يعد هناك أي خراف ليحرسها، أليس كذلك؟!

حزنت لذلك فعلاً، فلم يعد هناك أي صوت لخراف ولا حملان بعيونها الوديعة هنا على الجبل.

– هل ستبتاع أخري يا خالي؟

– ماذا تقصد ؟ أتعني أن أبتاع خراف؟!

فأومأ قائلاً:

– لست متأكداً من ذلك؟ لا أعرف، لا.. لا أستطيع ذلك حقاً، ليس بعد رحيل فاي، أعني لقد كانت خرافها وفكرتها من البداية، فقد ابتاعت هذا المكان بمالها الذي ورثته، كانت فتاة مدنية ولم تعتقد أن هذا سيحدث لها على الجبل.

صفر درانكل لـ آرن وجانب فمه مبتلاً مرة أخري بالخمر فجاء عدواً إلينا وأقدامه ووجهه متسخين للغاية وأجزاء من التين ملتصقة

به من السماد . . لاحظت حينئذ أن الرائحة التي شممتها كانت كريهة بعض الشئ والتي لم أعتد على وجودها في هذا المكان من قبل، وقد كان كل شئ غير منظم على الإطلاق بوجود قطع من الآلات متناثرة في كل مكان وبراميل فارغة وأكياس بلاستيكية متطايرة في الفناء . . ومن قبل كان المكان هنا دوماً نظيفاً ولم يعد كذلك الآن وهذا ما كنت أفكر فيه، وبالرغم من ذلك، أحببت وجودي هنا بالأعلى في الجبال مع درانكل وكلبي في حين أن أمي وزوجها كانا بعيدين بالأسفل.

قذف درانكل زجاجته الفارغة بعيداً في كومة من الطين كغيرها من المهملات، فتح باب منزله ودخلنا نحن الثلاثة كالجيش الصغير.

أكلت بيضتين مقليتين أعدهما لي درانكل وحصل آرن على إحدي النقانق وأخذ يمضغها ويسحقها لساعات وتناثرت أجزاؤها في كل مكان ولكن كان منزل درانكل تعمه الفوضي العارمة على كل حال التي لم يكن من المعتاد رؤيتها من قبل فلم يعد يؤثر المزيد من الفوضي على حالة ذلك المنزل بعد الآن.

كان درانكل مكتفياً بشرب زجاجة خمر أخري وقت احتساء الشاي ولم يكن بحاجة إلى طعام بجانبها، شرب زجاجة أخري وطرح

على مزيداً من الأسئلة كتلك التي لا أجد لها إجابة عليها فأجاب هو عليها بنفسه.

الخوف شئ فظيع!.. عندما تكون خائفاً جداً فتشعر أنك ضللت الطريق في غابة في مكان ما في المساء وشئ ما يطاردك خلسة من خلال الأشجار ولا يمكنك رؤيته، لذا لا تعرف ما هو هذا الشئ ولكن من الأصوات التي يصدرها تعرف أنه شئ كبير جداً ويمكنه بسهولة تمزيق ذراعيك وساقيك وأنت تعرف أن ذلك سيحدث بالتأكيد عندما يجدك!.

-٢-

من كلام درانكل عن الخوف، تخيلت نفسي راكضاً في الغابات وحدي تماماً وكانت هناك كائنات ضخمة شريرة تطاردني ثم إنقضت على ومزقتني فأصبحت بلا أطراف - بلا ذراعين أو ساقين- صرخت بشدة ولكن لم يوجد أحد لنجدتي، رغبت في الهروب من هذا الخيال وتلك الخواطر، ففكرت أن أصم أذنايّ كي لا أنصت إلى كلام درانكل هذا، كنت أعلم أنه يريدني أن أستمع إليه وسيحزن إن تجاهلت كلامه، لذا بدلاً من ذلك، نظرت إلى آرن الذي كان مشغولاً بنقانقه بكفوفه المليئة بالسماد على السجادة المتسخة أمام المدفأة.

- إنه فزع الموت والخوف الرهيب من الوحدة التي تعتريني،

فكوني على قيد الحياة وحدي بدون فاي يجعلني عاجزاً تماماً، لا يمكن لأحد أن يتحمل موقف تخليص جسد زوجته المنتحرة من الحبل حول عنقها وإنزالها من على الشجرة ميتة، كيف يمكن لأحد الأستمرار في الحياة بعد قيامه بذلك.

أجاب على أسئلته بنفسه مجدداً وعينيه ذابلتين متجرعاً زجاجته :

– كيف عسايّ أن أعرف؟ . . كل شئ قد تبدل إلى الفوضي التي تراها من حولي هنا فمن يعيشون في وحدة يصبحون غير منظمين في بادئ الأمر ثم قذرين بعد ذلك تاركين الترهات والمهملات تتراكم من حولهم ولا يفكرون في تنظيف المكان إلا بعد فوات الأوان إليس كذلك؟ !

ابتسم درانكل لي إبتسامة صغيرة واستطرد قائلاً:

– هذا هو السباق يا بني، أن تهزم الفوضي قبل أن تتمكن منك وتنتصر عليك.

فكرت حينئذ أن أصم أذنايّ مجدداً ولكني لم أفعل ذلك ثانية.

– يجب أن أذهب إلى أمك لإحضار بعض المتعلقات الخاصة بك، ستظل هنا طوال الصيف وستكون بحاجة إلى بعض الأدوية، هل ما زلت تأخذ اللاموتريجين؟ ذلك أو فالبروويت الصوديوم؟

لم أكن أعرف سوي الإسم الأول فحسب، فأومأت برأسي.

تظاهر درانكل بأنه يكشف على وكأنه الطبيب للوين الذي أحببته ولم أره منذ أعوام مضت. ولكن درانكل لم يكن يعلم أني توقفت عن أخذ الدواء الغير مجدي منذ فترة طويلة لأنه لم يستطع شفائي من النوبات الصرعية- أو بمعني آخر لم يستطع إيقاف أحلامي.

- بلا شك، كنت تتناول دواء الكلونازيبام، إليس كذلك؟!

أومأت برأسي فحسب فلم أكن أعرف هذا الاسم أيضا .

- يجب أن أتحدث مع أمك

قال درانكل ناظراً إلى ألسنة اللهب في المدفأة:

- لا يمكن أن تظل سعيداً لفترة طويلة، فسرعان ما تقاطعك متطلبات ومشاكل الحياة وتفسد عليك إحساسك بالرضا والسعادة وحينما تحزن وتتألم فلا تجد أحداً يساندك ويخفف عنك.

توقف درانكل عن الكلام فساد الصمت الغرفة لوهلة، أردت الصعود لأعلى كي أشاهد بجيرة بالا على شاشة كمبيوتر درانكل وأنتظر ظهور الوحش بها، وما إن هممت لسؤاله عنها حتى أكمل حديثه المضحك.

- كثيراً ما أتخيل فاي وهي تتحدث إلى ككل الأموات، لابد أن تتعلم الإنصات لما يقولونه من قصص ودروس مفيدة.

شرب درانكل زجاجة أخري حتى آخرها وقال:

– هل تتذكر الشرنقة التي رأيناها الصيف الماضي، أتذكر كيف تمزقت وخرجت منها الفراشة؟

أومأت برأسي إيجاباً، فقد خرجت الفراشة كشئ مبتل مقزز ثم فردت أجنحتها فبدت جميلة ثم أصبحت أجمل عندما طارت وكانت تلك الفراشة هي أحسن شئ رأيته الصيف الماضي.

– كنت أنا و فاي بمثابة روحين في جسد واحد وعندما رحلت عني أصبحت كالجسد بلا روح، لا حياة له، عديم النفع كذلك الشرنقة بعدما تركتها الفراشة. فأنا الآن ميت سائراً على قدماي.. فهل أنتظر لحظة موتي الحقيقي أم ألحق بها وأنتحر مثلها؟ .. ولكن إن فعلت ذلك سيتحطم قلبها لأنها لم تريدني أن أفعل ذلك، فإن كان بإمكانها رؤية حزني، فستعلم أنها لن تستطيع فعل شئ لتخفيفه فقد كنا نتشارك معاً كل شئ عندما كانت على قيد الحياة إلى أن آثرت الرحيل وحدها.

شرب درانكل ثانية من زجاجته، ولما أدرك أنها فارغة، توقف عن الكلام، مما أسعدني كثيراً لأن كلامه كان له وقع حزن شديد بداخلي وتذكرت سكانتي فاي وقد صنعت لي كعكة الصيف الماضي وأخذتني في نزهة معها على حصان في الحقل بأسفل، كنت أجلس بين قدميها وعنق الحصان مما جعلني أشعر بشعور رائع وكانت ذراعي العمة سكانتي تحيطاني وهي تمسك بلجام الحصان

الراكض في الحقل فتضغطني إليها وشعرت بجسدها دافئاً على ظهري مما جعل الحرارة تسري في جسدي، تذكرت رائحة شعرها الجميلة. . أحببت العمة سكانتي التي جذبت وأثارت كل الرجال ولكنها إختارتني أنا لأجلس أمامها على الحصان الذي قررت ألا أركبه ثانية لأني لم أعد أراها أبداً وهذا التفكير أحزنني للغاية.

رن جرس الهاتف ورد عليه درانكل، استنتجت أنها أمي، تحدثا لوهلة وداعبت آرن الذي كان منشغلاً بعظمته.

مرر درانكل الهاتف لي قائلاً:

- خذ يا فتي، تحدث إلى أمك.

دخل المطبخ وسمعته يفتح زجاجة أخري، تحدثت قليلاً مع أمي، سألتني عما إن كنت على ما يرام وسألتها إن كان زوجها هناك فأخبرتني أنه من الأفضل أن أظل هنا في الوقت الحالي لأنهما لن يستطيعا التمتع بحياتهما الخاصة في وجودي، ولكن على كل حال، أحببت الحياة هنا بأعلى وأخبرتها أنني سعيد في مكاني هذا ولم أخبرها بحزني لموت العمة فاي وسألتني إن كنت أريد الدواء الخاص بي فلم أجبها فأخبرتني أنني كنت على ما يرام في الفترة الأخيرة وكنت أتمني لو سألتني عن ذلك فكنت سأجيبها بأنني لم أكن على ما يرام ولكن لم أستطع ذلك فقد تحملت الكثير من قبل وكنت مشفقاً عليها أن تقلق أكثر من ذلك، وأخبرتني أننا نشكل صحبة جيدة، أنا

ودرانكل، فلم أعلق مرة أخري. . وللحق أحببت درانكل ولكنه كان يتفوه بكلمات غريبة وقالت لي أنه في حاجة إلى صحبة في ذلك الوقت وإلى من يهتم بالمكان من حوله ولكني لم أعرف ما عنته بذلك. أخبرتني أني قد بلغت ستة عشر عاماً وأني الآن رجلاً. . تلك المعلومة التي لم أكن مهتماً لمعرفتها لأن الرجال إما أوغاد وأشرار كزوج أمي و آرثر أو تعساء ك درانكل ولم أريد أن أكون كأي منهم حتى وإن كنت أحب درانكل فلم أحب أن أكون مثله في حياته التعيسة. وطلبت مني أن أداوم على الاتصال بها وأخبرتني أنها ستصعد هنا لتزورني الأسبوع القادم وسنذهب للنزهة معاً فوافقتها ثم أنهت المكالمة.

سألني درانكل عائداً إلى مكانه ومعه زجاجة خمر أخري:

- كيف حالها ؟

فحركت كتفي فحسب، نظر لي درانكل ولم أريده أن يبدأ حديثه مجدداً لذا سألته إن كان بإمكاني الصعود لأعلى، إلى غرفة النوم كي أري البحيرة على شاشة الكمبيوتر، فإبتسم قليلاً، صعدنا لأعلى، أدار الكمبيوتر ثم بعد وهلة، رأيت البحيرة تعلوها كلمات "مشاهدة الوحش" . كانت مياه البحيرة شديدة الظلمة وشعرت بالإثارة وإنتفض قلبي خوفاً من الوحش الذي يمكنه الخروج منها فضحك درانكل وقال أنه لم ير أحد ذلك الوحش بعد سوي صديق

له، إعتقد أنه رآه يوماً ما عندما كان يصطاد في مركب صيد صغير في البحيرة وقد كان الوحش يبدو كتمساح كبير ذو حوافر. أخبرني درانكل أنه لم يصدقه.. بعكسي تماماً فقد صدقته لأني أردت ذلك. جلسنا نشاهد البحيرة لوهلة، صعد آرن كي يشاركنا الغرفة ولكنه لم ير البحيرة فقد أخذ العظمة ونزل تحت السرير، لم نر أي وحش ولكني كنت سعيداً وكذلك كان درانكل لجلوسنا هنا معاً صامتين نبحث عن الوحش فحسب.

وبينما كنا نشاهد البحيرة، سمع درانكل صوتاً ما فقال:

- هل تسمع صوت محرك؟

أنصت جيداً فسمعت ذلك الصوت، وقال درانكل:

- هناك شاحنة تصعد الجبل.

إعتقدت أنها أمي جاءت لتزورني ولم تكن تكذب على، نظر درانكل من النافذة، كان صوت المحرك يعلو شيئاً فشيئاً حتى أصبح عالياً جداً عندما وقفت الشاحنة أمام المنزل تماماً قال درانكل:

- بحق المسيح، إنه آرثر!

إختلج قلبي خيفة لأن القادم كان آرثر وحزناً لأنه لم يكن أمي، سمعت صياحاً بالخارج ثم قرع على الباب بأسفل.

- سأنزل لأعرف ما يريده، إبق هنا وإن رأيت الوحش ناديني، اتفقنا؟

إبتسم لي وكان يبدو عليه القلق، إستمر صوت القرع على الباب حتى فتح درانكل، ثم سمعت صياح شديد جداً:

- أيها الوغد الملعون! ماتت بعض النعجات اللعينة الأخري، وبعضاً منها لا يمكن تعويضه هذه المرة، أخبرني بالحقيقة، لا تكذب على أيها الأحمق!

زام آرن غضباً تحت السرير وسمعت درانكل يقول:

- إصمت يا رجل، فابن أختي بأعلى.

- هل تعتقد أن هذا سيهمني؟.. أتعتقد أني أكترث لوجود نعجة لعينة هنا؟

سمعت الباب يغلق وتعالى الصياح بكلمات غير واضحة، زام آرن ثانية وهدأت من روعه وأخبرته أن الأمور على ما يرام فعاد إلى عظمته مرة أخري.

ولكن لم تكن الأمور على ما يرام حقاً، وربما علم آرن بذلك فبمجرد دخول آرثر في مكان ما فإنه ينبئ بسوء، ولذلك كنت خائفاً جداً من وجوده بالمنزل أكثر من خوفي من ظهور الوحش على الشاشة فآرثر نفسه كان وحشاً يحب إيذاء الناس حتى زوجته وابنته التي كانت ترتعد منه خوفاً.. لقد وكانت في نفس فصلي بالمدرسة، إنزعجت كثيراً من سوء معاملة أمي وزوجها لي

وإنزعجت أكثر من صياح آرثر الشديد بأسفل وكنت خائفاً جداً على درانكل الذي سيطر الحزن عليه مثلما سيطر الشر وإيذاء الغير على آرثر الذي كان يثير الرعب والفزع من حوله، إعتقدت أنه سيضرب درانكل ثم سيصعد ليضربني، فكرت أن آرن سينقذني وسيحطم رأسه اللعينة ولكن عدلت عن هذا التفكير لان آرن لم يكن باستطاعته التغلب عليه فآرثر كان ضخم الجثة ودائم الصياح والغضب ولم يبتسم أو يضحك إلا عندما كان يؤذي غيره مثلما فعل الصيف الماضي. . كنت أنتظر درانكل ليقلني بسيارته إلى المنزل، فخرج آرثر من الحانة ومعه رجل آخر أقل حجماً منه، فإختبأت في شجيرة ورأيت آرثر يبرح الرجل ضرباً ولما سقط الرجل أرضاً، ضغط آرثر على وجهه بحذائه بقوة وقبل أن يعود أدراجه إلى الحانة، نظف حذائه على السلم مثلما أفعل عندما أطئ على فضلات كلب فكان وجه الرجل كفضلات الحيوان بالنسبة لآرثر، وهذا التفكير أصابني بالغثيان الشديد وأردت أن أطمئن على الرجل ولكني كنت خائفاً جداً وبعد فترة، نهض الرجل من على الأرض وحين جاءني درانكل حاولت إخباره بما حدث ولكنه طلب مني التوقف عن الكلام وأخبرني أن أمثال آرثر قليلون في عالمنا هذا فآرثر كان من عالم آخر غير عالمنا وتذكرت ذلك حين سمعت صياحه الذي قطع تفكيري في هذا الرجل البائس الذي أوسعه آرثر ضرباً حتى تشوه

وجهه وفي زوجة آرثر التي رأيتها يوماً ما في المتجر وذراعها مكسوراً وفي ابنته التعيسة التي جاءت يوماً ما المدرسة بكسر في ذراعها هي الأخري وإدعت أنها وقعت من على الحصان ولكن لم يصدق أحد كلامها لأننا جميعاً كنا نعرف آرثر جيداً وحتى المعلمين فضلوا عدم التدخل خوفاً منه كغيرهم.

لابد أن يكون آرثر هو وحش البحيرة الذي كان يعيش هناك في الظلام وترك البحيرة الحالكة السواد ليأتي هنا ويرهب الناس، ما من أحد له شكل حيوان سوي ذلك الرجل بشكله البشع هذا الذي بدا كالثور واقفاً على قدميه الخلفيتين، بشعره وذقنه الحمراوين.

تمنيت لو يعود أدراجه إلى البحيرة أو إلى حفرة ما في الأرض أو إلى كهف ما حيث عالمه السفلي المظلم البعيد والمختلف عن عالمنا وبالتالي لا يمكنه إيذاء أحد قط.

كانت البحيرة ساكنة ومظلمة إلى حد ما فلم ينيرها سوي ضوء القمر الخافت وكانت شبكة الكمبيوتر تهتز من الرياح مما جعلت البحيرة الساكنة تبدو وكأنها تتحرك. كانت السماء شديدة الظلمة فأعاقت رؤيتي للجبال في الجهة الأخري من البحيرة التي لم أر شيئاً عداها كالمرات السابقة، لم يظهر الوحش بعد ولكن إحتمال وجوده ما زال قائماً مما أسعدني نوعاً ما. تحدثت إلى آرن في أمور كثيرة فإستمع إلى لأنه كان يفهم لغتي ويتحدث بها بالرغم من كونه حيواناً!

توقف آرثر عن الصياح لكنه لازال يتحدث بغضب وبحدة شديدين، راح آرن في نوم عميق وحاولت بدوري النوم ولكن شعرت بشئ كالضباب الأسود يحوم حول الغرفة مصدراً صوتاً كفحيح الثعبان، لم أكن متأكداً إن كان هذا الشئ المرعب حقيقي أم من نسج خيالي فأغمضت عيناي ثم فتحتهما بعد فترة لأجد هذا الضباب قد إختفي.

بدأت أشعر بالنوم حينئذ ولكن فضلت الانتظار حتى يغادر آرثر المكان لأنام في أمان، ولكن شعرت أني قد نلت قسطاً من النوم بالفعل لفترة فحينما استيقظت، شعرت بنفسي وكأني معلقاً في الهواء ونزلت برفق شديد على السرير. دخل درانكل الغرفة وهو ثمل للغاية وقال بصوت غير واضح:

– رحل آرثر، لقد جن جنونه عندما وجد خروفاً آخر ميتاً على شجرة بين الأغصان ممزقاً تماماً كالآخرين وإعتقد أن كلباً ما قام بذلك ولكن أي كلب يمكنه تسلق الأشجار؟!

لا يمكن لأحد في العالم فهم كلام درانكل وهو ثمل سواي لأني أعرفه جيداً.

– كان هناك شخص ما يربي حيوان الوشق أو أي من تلك الحيوانات المنزلية ثم هرب هذا الحيوان أو تم تسريحه، هذا كل ما في الأمر، إنه حيوان منزلي فار فحسب فلا غموض في ذلك.

فكرت في كل الخراف الممزقة في المناطق الجبلية وإعتقدت أن هناك أسداً على قمم الجبال المظلمة أو نمراً مختبئاً في الأشجار وراء تلك الفعلة، وأسعدني هذا التفكير جداً، أحببت التفكير في الحيوان المتسبب في تمزيق الخراف بهذا الشكل سواء أكان أسداً أم نمراً أم حيوان الوشق أم ذئباً بالرغم من أنني لم أحب شكل الخراف الممزقة نفسها.

– لذلك نظم آرثر حملة لصيد ذلك الحيوان، سنخيم خارج المنزل لمدة يوم أو يومين.

ربت درانكل على رأسي وقال :

– نل قسطاً من النوم لأننا سنبدأ رحلتنا غداً في الصباح الباكر.

ربت على رأسي ثانية وعلى رأس آرن أيضاً ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه، غسلت أسناني وأطفأت جهاز الكمبيوتر ثم إرتديت ملابس النوم. نمت لوهلة ثم استيقظت لأشرب وعدت إلى سريري مرة أخري، كنت أسمع أثناء نومي صوت الرياح وقطرات المطر وصرخات البوم وصوت الثعالب، تلك الأصوات التي أحببتها للغاية، استيقظت من نومي وداعبت آرن، نهضت وبدلت ملابسي، نزلت لأسفل إلى المطبخ وتبعني آرن، شربت بعض الحليب وأعطيت آرن بعضاً منه أيضاً ثم أكلت تفاحة وخرجت من المنزل في جو الصباح المنعش.

أحببت مزرعة درانكل جداً ولكني حزنت حينئذ لعدم وجود العمة سكانتي فيها وحزنت للفوضي التي تعمها الفوضي، البراميل والأكياس الملقاة في كل مكان والكثير من الآلات الصدئة والطين والسماد المتجمع في برك وأكوام.. ولم تكن المزرعة بهذا الشكل من قبل كما كانت هناك خراف سابقاً ولكنها تبدلت الآن بخنزيرين فحسب أحببتهما وأحبهما آرن أيضاً، خرجت من المزرعة إلى الحظيرة، تسلقت التل المليئ ببالات القش ونظرت لأسفل على الوادي حيث توجد بلدتي.. حزنت جداً لما تخيلت أمي في أحضان زوجها الوغد بالمنزل ولكن سرعان ما تبدل حزني إلى سعادة برؤيتي لقمة الجبل المتوهج البراق، أشرت إليه لآرن الذي قفز من تل القش معتقداً أنني ألقيت له بشئ ما وركض خلف شئ -ربما كان جرذ كبير – في الفناء.

سمعت صوتاً فنظرت حولي ورأيت القطة شارلسوت خلفي في القش، مسحت على رأسها واستطعت رؤية صغارها وهي تتحرك خلفها في فتحة مظلمة في القش، التقطت إحداها وكان الأصغر حجماً فماء وعض إصبعي، فكرت أنه من السهل إيذاء أو حتى قتل الصغير إن كنت قاسياً كآرثر وزوج أمي وأعجبت بشجاعته عندما عضني ليدافع عن نفسه، هذه الفعلة التي لم تقم بها بقية

القطيطات ليختاره القدر برغم صغر حجمه ليكون الأفضل في نظري!

-٣-

أعدته مكانه في القش.. نظرت إلى العلامات الصغيرة التي تركتها أسنانه على إصبعي.. تمنيت ألا تختفي أبداً، داعبت شارلسورث مرة أخري وأخبرتها أن لديها أفضل الصغار على الإطلاق . سمعت آرن ينبح ورأيته أسفل تل القش سعيداً لأن درانكل كان يتبعه عابراً الفناء ومعه خيمة ملفوفة ألقي بها في الشاحنة كما ألقي أيضاً بحقيبة بها بعض أدوات الطبخ وبعض المستلزمات الأخري ووضع مسدساً بحرص شديد، نزلت من تل القش.. ربتّ على آرن ثم توجهت إلى درانكل .

- إنه لشيء مضجر يا صاح، سنرحل في هذا الوقت المبكر من الصباح !

نظرت إلى درانكل.. كان يبدو عليه التعب كحاله دائماً في أوقات الصباح.. كانت تزول عنه تلك الحالة بعد فترة كرائحة العرق والشراب أيضاً.. قال لي :

- إذهب وإستعد، خذ حماماً سريعاً وإرتد بعض الملابس الثقيلة بسرعة .

- نحن في فصل الصيف يا خالي .

– ستشعر بالبرودة في المكان الذي سنذهب إليه فالجو هناك شتاء طوال العام .

عدت وآرن إلى المنزل، أخذت حماماً بينما ذهب آرن ليحضر عظمته التي إنشغل بأكلها على مدخل الحمام. كان الدش لا يعمل جيداً فالمياه تخرج منه متدفقة فحسب.. باردة وسيئة للغاية.. المنشفة الوحيدة بالحمام عطنة، متسخة.. رائحتها كريهة . كما كان دهان الحوائط مشققاً ومتسخاً، فكرت أن الحال لم يكن كذلك أبداً عندما كانت العمة سكانتي على قيد الحياة لأنها إعتادت أن تجعل كل شيء نظيفاً وقد أحزنني ذلك لأنه جعلني أفكر في الوحدة والوحشة التي عاني منها درانكل ولا يزال منذ أن ماتت فاي .

جففت جسدي بصعوبة بالمنشفة العطنة التي لم تجد نفعاً.. تركت في جسمي رائحة كريهة ولم ألق بالاً بذلك.. غسلت أسناني، إرتديت ثيابي ثانية.. إرتجفت لوهلة فإرتديت سترة درانكل الصوفية المعلقة على كرسي بالقرب من الكمبيوتر فشعرت بالدفء . خرجت مع آرن من المنزل وكان درانكل يسند على شاحنته مدخناً ومحدقاً في الجبل.. قلت له :

– أنا جاهز يا خالي .

فقال :

– أنت فتي مطيع !

سألت درانكل إن كنا سنأكل شيئاً في الطريق فأجابني أننا سنأكل في الحانة. . أشعل سيجارته ودخل الشاحنة، دخلت أنا أيضاً وقفز آرن بدوره في الخلف . . فتحت نافذتي قليلاً لأجدد الهواء الذي عبأه درانكل برائحة الشراب والعرق.

سألت درانكل أين نذهب فأجابني إلى جبل تافرن، سعدت جداً لذلك لأن هذا الجبل كان بعيداً عن المكان الذي رأيت فيه آرثر ينهال ضرباً على الرجل النحيف الذي شاهدته مرات عديدة في أحلامي. . تخيلت آرثر وحش البحيرة وقد عاد أدراجه إليها بعد أن أجهز على ذلك الرجل البائس . قاد درانكل الشاحنة لمسافة طويلة في الطرق الجبلية الجانبية. . كان تفكيري في رحلتنا هذه يشعرني بالسقم .

قال درانكل :

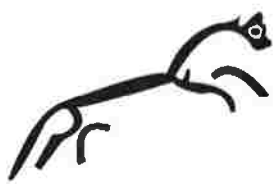

- أريدك أن تأخذ حذرك، مهما فعلت، لا تجعل آرن يخرج من الشاحنة فـ آرثر ثائر لفقدانه خروف آخر ويريد إلقاء اللوم على أي شيء ،وإن كان باستطاعته لوم كلبك فسيفعل . لقد أخبرته أن من قام بتمزيق خرافه حيوان منزلي : فار، أو حيوان تم تسريحه بعدما كبر وبات مخيفاً لمن يربيه كحيوان الوشق أو ما شابه ذلك، ولكنه مقتنع تماماً أن من قام بتلك

الفعلة كلباً، أخبرته أن الكلاب لا يمكنها تسلق الأشجار ولكن هيهات .

هز رأسه، وقد كانت هذه هي المرة الثانية التي أخبرني فيها بذلك.. لكنه نسي كعادته دائماً .

– سيطر على آرن فحسب، أعلم أنه يكره البقاء طويلاً في الشاحنة.. لكن حاول أن يبقي ساكناً بداخلها عندما يظهر آرثر، لا تسمح لآرثر بأن يثور ويقوم بشيء خطير، هل تفهمني ؟

لم أفهم ما عناه.. ما الشيء الخطير الذي لا أسمح لآرثر بفعله ؟ لذا نظرت خلفي وداعبت آرن مثلما كنت أفعل في حالة عدم فهمي لبعض الأمور .

ترك درانكل الطريق السريع وسلك طريقاً آخر.. أدي بنا إلى قرية صغيرة.. وتأثرت جداً عندما أبطأ درانكل الشاحنة حتى يتيح لخروف الفرصة ليبتعد عن السيارة مشيراً إليه ليعبر الطريق كما لو كان يفهمه .

– لاحظت أن آرثر واحد ممن لم يخسروا قطعانهم.. ولم يطلق مفتش الصحة النار على خرافه.

– أتدري لماذا ؟ لأن المفتشين لم يزوروا مزرعته . ألا يعني هذا شيئاً لك ؟

عاد درانكل لطرح أسئلته مجدداً التي لم أعرف إن كان يريدني الإجابة عليها أم لا وهذه المرة لم تكن لدي الفرصة للإجابة على أي حال فأومأت إليه ولكنه لم يلتفت إلى بل كان ينظر إلى الطريق السريع أمامه فحسب .

– لم يزر المفتشون عن حالات الإصابة بالحمي القلاعية مزرعته، لذا كانت حيواناته بمأمن من المرض، أتري ؟ عندما مروا على خرافي وخراف فاي، كانوا في مكان ملوث لتوهم وسط القرية ولم يطهروا أنفسهم جيداً . . لذا نقلوا الميكروب لخرافنا، لم نر أنا وفاي أي علامات للمرض على حيواناتنا . . قالوا لنا أنهم يجب عليهم قتل كل الحيوانات كإجراء وقائي، بالرغم من أن ما حدث كان خطؤهم . . لم يطهروا أنفسهم من العدوي في المكان اللعين الذي ذهبوا إليه سابقاً .

رأيت درانكل يحترق غضباً وكنت كذلك أيضاً . . عبرنا المناطق الجبلية بالشاحنة . . لا ينبغي على المفتشين – ببنادقهم وأعمالهم القذرة – الصعود هنا، تسير الأمور بطبيعتها دون أي تدخل إنساني ولا أي إجراء وقائي غبي . . وكانت الحيوانات تقتل بعضها لتعيش ويتم قتلها لتعيش حيوانات أخري . تخيلت هؤلاء المفتشين وهم يصعدون هنا بمعاطفهم البيضاء وببنادقهم وبالميكروب الذي جلبوه معهم من القرية وتخيلتني أنا و آرن و درانكل –جيشنا – وهو

يطاردهم لأسفل المناطق الجبلية.. وهم يركضون بسرعة محدثين جلبة شديدة أثناء وقوعهم من أعلى لأسفل الوادي.. فلم يقتلوا الخراف بإجرائهم الوقائي الغبي، وعدنا جميعاً إلى المنزل منتصرين عليهم.. كنا نضحك وتخيلت فاي على قيد الحياة وهي تضحك هي الأخري وتصنع لنا قدراً من إلى خني لنأكله .

– ينبغي على آرثر أن يشكر الرب لأن قطيعه لم يفن كقطيعي.. خسر البعض فحسب، مثلما يحدث لنا جميعاً فالصقور أو الثعالب أو الغريرات أو القواقم الأوروبية وحتى الغربان تخطفهم كالحملان.. لابد أن يشكر الرب على وجود قطيعه وزوجته بدلاً من مطاردة تافهة للمتسبب في قتل خرافه .

قاد درانكل الشاحنة في قرية أخري أكبر من ذي قبل، سألته إن كان بإمكاننا التوقف عند المتجر كي أبتاع شيئاً لآكله فقال إننا بعدنا كثيراً عنه وأني سآكل شيئاً في الحانة لأن حبيبة آرثر، صاحبة الحانة، تعد الإفطار للجميع.. تخيلتها في وضع حميمي جعل الحرارة تسري في جسدي مثلما حدث عند تفكيري في جلوسي على الحصان والعمة فاي تضغطني من الخلف.. بدا لي حينئذ أن حبيبة آرثر تشبه العمة فاي قليلاً في إثارتها لي بل أراهما متطابقتان تماماً في مخيلتي . لم أفكر في زوجة آرثر فحسب بل في إبنته أيضاً في نفس الوضع الذي أثارني بشدة لدرجة أني رغبت في.. .....، ولكن

حينئذ وصل بنا درانكل إلى ساحة ركن السيارات في ماينيد تافرن. . رأيت العديد من الشاحنات والرجال وإثنان من رجال الشرطة مما جعل الحرارة تختفي بسرعة من جسدي فتنفست الصعداء .

ركنا الشاحنة في ساحة ركن السيارات الصغيرة. . نزلنا منها وما إن هممت لفتح الباب الخلفي لينزل آرن أيضاً حتى أمرني درانكل أن أتركه في الشاحنة في الوقت الحالي، لذا أشرت إليه من النافذة أن يظل مكانه. . نظر إلى حزيناً وقلقاً . سرنا بين السيارات. . رأيت بعض الصبية الذي ن كانوا معي بالمدرسة قبل أن أتركها وآباءهم واقفين حولي يتحدثون مع بعضهم البعض، يفحصون بنادقهم ويشربون البيرة أو الخمر. . بعض رجال الشرطة يتجولون بين الحشد. . بعض الكلاب تنبح في الساحة أيضاً مما جعلني أسأل درانكل إن كان بإمكاني إخراج آرن من السيارة ولكني لم أجده، بحثت عنه بين الناس حتى رأيته وهو يتحدث مع آرثر. . تذكرت حينئذ الكلام الذي أخبرني به درانكل عن آرثر وآرن فعدلت عن سؤالي له .

شممت رائحة طيبة. . رأيت بخاراً يتصاعد في الحانة. . لاحظت الناس يحتسون شيئاً في أكواب ورقية، فيما يبدو أنه حساء. . ذهبت إلى المكان حيث يتصاعد البخار ورأيت مائدة

عليها قدر كبير. . كانت سيدة تملأ أكواب الموجودين الممتدة تجاهها بجساء سميك جميل الشكل فأخذت كوباً ومددته نحوها فملأته، سألتني تلك السيدة الجميلة – زوجة آرثر – عن عمري وشعرت بالحرارة تسري في جسدي بسرعة. . قالت مبتسمة :

– ألم تملأ كوبك ؟

وإستطرت :

– آخر مرة رأيتك فيها كنت صغيراً ! .

فإختلج قلبي بداخلي. . قالت هامسة :

– أنا آسفة لما حدث لـ فاي .

كانت هي والعمة سكانتي صديقتين ولكن غير حميمتين .

– كيف واجه خالك الأمر ؟ ! هل هو بخير؟ . . لابد أن ما حدث كان شيئاً رهيباً بالنسبة له. . لم أعرف كيف أجيبها فأخبرتها أنه حزيناً .

– بالطبع، أدرك ذلك .

لم أعرف ما أقوله لها فأخبرتها أنني سأظل معه طوال الصيف. . قالت :

– حقاً ؟ !

لم أعرف إن كان ينبغي على الإجابة أم لا. . لم أستطع الإجابة على أي حال. . أسرتني عيناها بشدة لدرجة أنني عجزت عن

الكلام.. شعرت بالخوف حينئذ لأن زوجة آرثر بعينيها ويديها ونظراتها لي وإبتسامتها كانت تثيرني بشدة.. لم أعرف ما يجب على فعله حيال ذلك، لذا شربت الحساء فحسب ثم تذكرت فجأة أن إسمها ريانون.. لاحظت أن هناك بعض العلامات السوداء حول رقبتها كما لو كان شخص ما جذبها من رقبتها أو حاول خنقها وتظاهرت بأني لا أعرف هذا الرجل .. قالت مبتسمة... تلك الإبتسامة التي أحببتها جداً وأخافتني في نفس الوقت :

– حسناً.. سآتي لزيارتك لأطمئن عليك وعلى خالك.. سأحضر لك بعض الحساء .

سمعت صوتاً مازحاً يقول :

– أحب ذلك يا ريانون، شعرت بتلك الكلمات المعبرة عما بداخلي.. جعلتني أشعر بالخوف بعض الشيء . إمتدت يد بكوب أمامي لتملأه ريانون بالحساء.. إبتسمت لي ثانية.. قالت وهي تملأ الكوب :

– ها قد عدنا ثانية، فأخذت كوبي وإبتعدت عنها.. كنت أشعر بالإثارة تزيد بداخلي إلى أن ضربني أحد الصبية من مدرستي فوقع الحساء على يدي، نظر لي هذا الصبي شذراً وعقص شفاه ممتعضاً ثم مضي بعيداً.. لم أحبه ولم يحبني هو أيضاً فتخيلت هذا

الضباب الأسود الزاحف حولي وهو يقضي عليه . . يبتلعه فشعرت بالسعادة أكثر من ذي قبل .

فكرت أن أرقص مجدداً مثلما فعلت عندما تركت المدرسة التي كنت أكرهها، حينما شعرت ومازلت أشعر بالسعادة أن أيامها ولت.

شعرت بأن الشمس قد إختفت فجأة وإذا بي في ظل ظليل، نظرت لأعلى فأعلى . . رأيت هيئة ضخمة سوداء كالثور واقفاً على قدميه الخلفيتين . . عرفت حينئذ أنه آرثر فإرتجف جسدي من الخوف . . شعرت بنفسي ضئيلاً جداً كما الفأر أمام شارلسورث .

– هل أعجبك الحديث مع زوجتي ؟ !

كان صوته أجش وضخم كصوت إنهيار الأشجار التي تتهاوي الواحدة تلو الأخري .

– حسناً . . ستذهب مع خالك الأبلة . . سيخبرك بما يجب عليك فعله .

كان وجه آرثر ملاصقاً لوجهي وأكبر بكثير منه كالجبل نفسه . . كانت ذقنه كالغابة الحمراء . . وجنتيه كالصخر وعينيه كبحيرة بالا بوحوشها . شعرت ببرودة الخوف تسري في جسدي الذي كان ساخناً من الإثارة عندما إبتسمت زوجته لي .

- إن إقترب كلبك من خرافي اللعينة.. سأفجر رأسه، أتفهمني؟!.. فأنا أراقبك وأراقب كلبك.. . كلب الصيد الملعون، أتسمعني ؟

كان سؤال آخر من تلك الأسئلة التي لا أعرف إن كان على الإجابة عليها أم لا ولكن رحل آرثر.. كنت سعيداً لرحيله لأني كرهت الوقوف أمامه.. كرهته هو شخصياً لدرجة أنني تخيلت آرن وهو يهجم عليه.. يقتلع رأسه اللعينة التي تتدحرج في طريقها لأسفل الجبل.. إلى الوادي وكنا نتابعها ضاحكين ثم نعود إلى منزل درانكل حيث تعد ريانون لنا الحساء، فكرت في زوجته عندما تعبر الجبال لاحقاً لتعد لي الحساء وفي طريقة نظرتها لي مما جعلني سعيداً وأقل خوفاً من آرثر حتى مع ضخامته .

سيكون العالم أفضل إن كان لا وجود لآرثر الوغد فيه فهو لا ينتمي لهذا العالم على أي حال.. فهو يعيش في بحيرة أو كهف أو في الأرض مع الديدان والمخلوقات، ولكن لا يجب أن يكون هنا على الجبل حيث يعيث فساداً.. أما زوجته فقد إبتسمت لي مثلما لم تبتسم بها لأحد من قبل.. لم أعرف معنى تلك الابتسامة.. لكنها جعلتني أقل خوفاً من آرثر .

بدأت الناس تغادر الحانة في جماعات.. سمعت كثيراً من الأصوات والضحكات تتعالى كما لو كان الناس يتحدثون بصوت مرتفع عن عمد ليسمعهم الجميع وتساءلت لم يحدث كل هذا ؟!

نظرت حولي.. رأيت درانكل بالقرب من الشاحنة فذهبت إليه.. رأيت آرن في الخلف وعينيه مليئتين بالقلق.

- تحدث آرثر إليك، إليس كذلك؟

فأجبته: نعم.. إبتسمت لي زوجته إبتسامة أثارتني بشدة ولكن لم أذكر ذلك لـ درانكل.

- توقعت ذلك.. أنت بخير، إليس كذلك ؟.. أجبته بالإثبات ثانية.. أخبرته أنني لم أخف - وإن كنت كذلك بالفعل - ولكن إبتسامة ريانون لم تفارقني قط.

- حسناً.. كن حذراً فحسب، هذا كل ما في الأمر.. سأراقب ذلك الوغد أيضاً، لكن لن أستطيع أن أظل بجانبك دوماً، هل تفهمني ؟!

أعطاني درانكل شنطة الخيمة فحملتها على ظهري كما حمل شنطة أدوات الطبخ على ظهره هو الآخر ثم وضع زجاجة الخمر في كل جيب من جيوب معطفه.. حمل بندقيته على كتفه.. أمرني أن أخرج آرن من الشاحنة وسألته إن كان لابد أن أضعه في المقدمة فنظر درانكل حوله في ساحة ركن السيارات الخالية.. رفض ذلك

قائلاً أن الأمور على ما يرام ولكن ينبغي على إصطحابه لأي طارئ فحسب .

خرج آرن من الشاحنة كالمجنون يقفز ويهز ذيله حتى ردعه درانكل بصوت حاد فتوقف عن القفز . . جلس سعيداً لخروجه من الشاحنة التي سند درانكل عليها وأشعل سيجارة قائلاً :

– سنعبر سلسلة الجبال هذه (وأشارً بسيجارته إلى جزء مرتفع لم أستطع رؤيته في الشمس) واسترسل :

– لا، تباً لذلك . . سنسير حول سلسلة الجبال ! سنأخذ وقتاً أطول ولكن أهم ما في الأمر أننا سنصل إلى الحجر قرب الليل .

حجر ! أي حجر يا خالي ؟ هناك ملايين من الحجارة في الجبل . . الجبل نفسه حجر ضخم .

– هذه الحجارة القديمة هناك بالقرب من إلى نبوع حيث إصطحبتك من قبل، ألا تتذكر ؟

تذكرت حينئذ . . فـ درانكل أحب هذا المكان وهذه الحجارة . . إصطحبني هناك خمس مرات وذهبت العمة سكانتي معنا مرتين أيضاً . . إعتقدت أن ذهابنا هناك مجدداً سيدخل الحزن في قلب درانكل، لذا كنت سأسأله عن سبب ذهابنا هناك، لكنه داعبني وسألني إن كنت مستعداً ثم رحل . . تبعته أنا وآرن . الأمر الذي أثار دهشتي وحيرتي: لم يقدم الكبار دائماً على طرح

أسئلة عليك ثم يسيرون أو يستمرون في الحديث فحسب غير عابئين بسماع الإجابة؟ ! . . كان درانكل يطرح تلك الأسئلة أيضاً ولكني إعتدت على ذلك منه .

خرجنا من ساحة ركن السيارات . . سرنا في القرية . . نزلنا في ممر ضيق . . مررنا على منزل قديم مهجور . . عبرنا كوبري وسور ومستنقع، أحب آرن كل ذلك . . كان يشم كل شيء يراه حتى أصبح متسخاً للغاية، وبينما كان يشم النباتات، إنقض عليه طائر أبيض اللون كبير بعض الشيء من بين النباتات وقال درانكل أن ربما كان لهذا الطائر صغاراً، لذا كان يشغل آرن بعيداً عنهم . . تمنيت لو كان صغار هذا الطائر مختلفين في الحجم أو الشكل أو اللون كصغار شارلسورث !

كانت الأرض رطبة وموحلة أكثر من ذي قبل لذا قفزنا أنا ودرانكل من بقعة جافة إلى أخري أما آرن فركض فيها فأصبح متسخاً للغاية ثم سرنا في طريق مليء بالخراف، أكثر جفافاً وأفضل من الطرق السابقة الذي أدي بنا إلى جبل مرتفع الذي صعدناه بصعوبة، جلسنا بجانب صخرة . . بدأ درانكل يشرب الخمر . . أعطاني تفاحة فأكلتها وأعطي آرن قطعة من البسكويت .

سمعت صرخات كثيرة فنظرت لأعلى . . رأيت طيوراً كبيرة جداً تحلق عاليا في السماء على مقربة مني فتخيلتهم وهم ينصاعون

لكلامي . . ينقضوا على زوج أمي ليقضوا عليه إن أردت ذلك، ولكني أفضل من ذلك الوغد فعدلت عن هذا التفكير .

كانت المناطق الجبلية يشوبها الهدوء . . لا تجده في أي مكان آخر وإن كانت مليئة بصخب أصوات الرياح والصرخات العالية الصادرة من الطيور المحلقة عاليا . رأيت أشخاصاً بأعلى عبر المستنقع وبعيداً في القرية على جانب الجبل، كانوا يسيرون في الطرق الجانبية عبر البقاع الموحلة للجبل، أشرت إليهم ليراهم درانكل فحدق بهم ثم أومأ قائلاً :

- يا لهؤلاء الأوغاد المجانين، ما الذي يتوقعون أن يجدونه هناك سوي الحشرات، إنهم مجانين مثلنا، إليس كذلك ؟

سألته إن كنا سنجد الذي قتل الخراف فهز رأسه نافياً .

- لماذا ؟ !

- لأنه حتى غير موجود هناك .

- لكنك قلت . . .

لم أتذكر الذي قاله لي مسبقاً تحديداً . . لكني تذكرت أن كلام درانكل عن الحيوان أو الفار الذي مزق الخراف دفعني للتفكير في السباع والنمور فقال أنه تحدث عن حيوان منزلي غريب ولكن . . . عندما إستدرك في حديثه، علمت أن كلامه القادم سيصبح هزلياً بالرغم من أنه لم يشرب كثيراً . . بدأ في الحديث عن الوحوش التي

نخلقها بأنفسنا ونتخيلها في عقولنا حتى تتجسد أمامنا من شدة خوفنا منها وتصبح طليقة في العالم.. لم أعرف ما ينبغي على قوله حيال ذلك لذا سألته عن سبب تفكيره بهذه الطريقة فقال :

- لأن الإنسان ضعيف جداً فإن قاتل قوة مدمرة سيجد نفسه لا يفعل شيئاً سوي إهدار قوته.. يفكر في الوحوش.. يتخيلها تتجسد أمامه وينتصر عليها حتى يشعر بأنه قد تغلب على ضعفه وبأنه حقق أمنيته في أن يكون شجاعاً، فباتت الحاجة للتفكير بهذه الطريقة ملحة وقوية لإشباع رغبته في إكتساب صفة الشجاعة حتى وإن كانت في خياله .

بسط درانكل ذراعيه للخارج فوقعت زجاجة الخمر من يده وإبتسم لي !.

-٤-

- خراف ممزقة في الأشجار، هذا ما نتحدث عنه لأننا أعطيناها حجماً أكبر من حجمها.. نريد أن نجد خرافاً ممزقة كي نستعد لصيد الوحش الذي فعل ذلك.. تلك المهمة التي نعتقد أننا خلقنا من أجلها، فالقيام بذلك يشعرنا بأهميتنا حتى أننا نقوم بتلك المهمة باستمرار .. واستمر درانكل في الحديث :

- ما نحن فيه الآن فيلم كبير فحسب.. لدينا أدواراً معينة نوافق عليها لأننا أغبياء جداً لدرجة لا تجعلنا ندرك كنه تلك

الأدوار، نريد الهروب من الكآبة والملل اللذين يملآن حياتنا . . نريد فعل شيء ما يشعرنا بأهميتنا وبأننا نستحق الحياة . لا يمكنني لوم المفتشين عن إصابات الحمي القلاعية (الـ إم إيه إف إف) . . كانوا يبحثون ويكافحون الميكروب فحسب الذي تحول إلى وحش كذلك الوحش الذي مزق الخراف ونبحث عنه جميعنا اليوم في تلك الجبال، فالوحوش ليست بالضرورة أن تكون كبيرة بحجم السباع لتمزيق الخراف فأحياناً تكون صغيرة مجهرية . . لكنها وحوش أيضاً كمفتشي الصحة تماماً . . مهما إختلفت أسمائهم وأحجامهم، هم الوحوش الملاعين الذي ن قتلوا خرافي وخراف فاي ودفعوا فاي للانتحار . . (قفز آرن من العشب وتقدم نحوي سعيداً ثم ذهب ليشتم أشياء أخري) . . قال درانكل :

– الحزن مثلاً . . .

قلت في نفسي : ها قد عاد درانكل لكلامه الغير مفهوم .

– . . . الحزن هو أكثر الوحوش شراً وترويعاً في العالم . . نخطط للتعامل معه والتغلب عليه، لكننا دائماً نفشل لقوته التي لا يمكننا قهرها بضعفنا . . فالحزن هو ما ندفعه دائماً ثمناً للحب، يجتاحنا الإحساس به بعدما يموت الذي ن نحبهم . . سبب نستعذبه . . رحلت فاي حبيبتي التي لم أعرف قدرها إلا بعد وفاتها والتي تركت فراغاً لم يملؤه غير الحزن .

لم أعرف حقاً عما يتحدث، بل شعرت أن لكلماته وقع حزن كبير بداخلي فحسب.. أردت رؤية العمة سكانتي مجدداً وسماعها ضحكاتها.. واسترسل درانكل في الحديث :

– موتها يعني غياب كل شيء الآن.. لا يمكنني القلق عليها عندما تتأخر بعد الآن، كل شيء أراه ماضي.. أتذكره فحسب.. أنادي عليها أحياناً في المساء لتعود إلى.. أعلم أنها لن تعود.. فهي مدفونة في تلك التربة.

ضرب درانكل الجبل الذي يجلس عليه بحدة قائلاً :

– الرب يقسو علينا.. لماذا يحملنا الله ما لا صبر لنا عليه؟!

وإستطرد وهو يتجرع الخمر من زجاجته :

– ليطلب الرب أن تسامحه نفسه لأني لن أسامحه أبداً!.

شعرت بكلمات درانكل رنانة بداخلي.. قال لي أنني مميز كما يحلو له تكرار ذلك كعادته – تكرار الكلام – لم أنصت إليه.. نظرت إلى العشب.. تخيلت أن عجلة المستقبل توقفت.. لن تعد ريانون لي الحساء.. لن تمضي أمي وزوجها في حياتهما الخاصة.. لن أدخل في أحلامي ثانية.. لن أعود إلى منزل درانكل.. لن أتناول إفطاري.. البيض المقلي الذي يعده درانكل لي في الإفطار وبعد الغداء، لم أحزن لكل ذلك لأن في تخيلي هذا لن أتقدم في العمر ولن يموت آرن!.. قال درانكل أن كل شيء

غاب الآن.. تخيلت أن كل الأمور والمواقف لا نهاية لها.. كل شيء وكل فرد سيموت مراراً وتكراراً وبالتالي سيحزن الجميع مرات عديدة أكثر من شعورهم بالسعادة.. سينتصر الحزن دائماً – الذي يراه درانكل وحشاً – وشعرت بحزن وتعب شديدين.

تابعنا السير حول سلسلة الجبال في صمت ماعدا درانكل الذي سألني عدة مرات إن كنت على ما يرام.. أجبته أنني بخير.. ورغم أني لست كذلك.. إلتقطت غصناً صغيراً.. وضعته في جيبي، وجدت ريشة كبيرة بنية اللون لصقر ما.. كما وجدت ريشة أخري باللونين الأسود والأبيض لطائر العقعق.. وضعتهما في شعري، وجدت عظمة صغيرة.. وضعتها في جيبي، كما وجدت عظمة أخري بها أسنان.. ثبتها في عروة سروالي.. كل هذه الأشياء جعلتني أشعر بأني أفضل من ذي قبل مثلما كانت تشعرني أجزاء الطحالب والحجارة التي إلتقطتها من الجبل.. وضعتها في جيوبي أيضاً.. إلتقط درانكل أيضاً من الجبل حجر حاد الحوالف كزهر النرد.. أراني إياه قائلاً:

– أتري، إنها سلاح صغير.. فمنذ زمن بعيد، كان الناس يستخدمون تلك الحجارة الصغيرة كأدوات لصنع الأسلحة.. يلتقطونها ويستخدمونها في سن حجارة أخري أكبر لصنع أسلحة أو أدوات أكبر.

وضع درانكل ذلك الحجر الصغير الحاد في جيبي قائلاً : لابد أن تعتز بذلك الحجر وتحافظ عليه لأن أجدادك القدماء إستخدموه من آلاف السنين .

يحاول درانكل أن يجعلني سعيداً ! . . شعرت بأني أفضل حالاً عندما فكرت في الماضي البعيد المتمثل في ذلك الحجر الصغير الذي إستخدمه أجدادي . . الذي ظل هناك على هذا الجبل لأعوام كثيرة مضت حتى إلتقطه درانكل، كنت سعيداً بعض الشيء لأن هذا الماضي جعلني على يقين بأن هناك مستقبل وأحلام أخري سأعايشها . . هذا يعني أنه يمكنك أن تصبح أكثر سعادة وإن طالت مدة الحزن والسقم بداخلك . . أحسست بالحجر الصغير في جيبي متوهجاً . . بالجبل يهتز بداخلي . . بدوار في رأسي، فشعرت بالقلق .

– خالي . . .

إستمر الدوار في رأسي وأحسست بمرارة في فمي .

– خالي ! . . .

- ماذا يا صاح.. ماذا يحدث ؟!

أمسك درانكل برأسي.. رأيت وجهة كبير وقريب جداً مني مما جعلني أشعر بتحسن على عكس شعوري عندما إقترب وجه آرثر معي .

- ما الأمر يا فتي ؟ إخبرني.. هل تغيب عن الوعي ؟ هل ستدخل في حلم من أحلامك ؟

أومأت برأسي نافياً ذلك.. لا أعتقد أنني سأدخل في حلم الآن، لم أكن متأكداً من شيء عدا أن هناك دواراً برأسي، نظر آرن إلى في قلق.. أمسك درانكل بوجهي قائلاً :

- تنفس بعمق الآن.. إسترخ يا فتي، سيمر الأمر بسلام...

- يا إلهي ! بحق المسيح ! كان ينبغي على أمك أن تعطيني بعض حبوب الدواء، تباً لتلك الأخت الملعونة عديمة النفع .

قلت له أني بخير.. لأمحو علامات القلق البادية على وجهه وعلى وجه آرن أيضاً.. لكن لا يزال القلق واضحاً عليهما، لذا أخبرتهما ثانية أني بخير.. توقفت رأسي عن الدوار بالفعل وإختفت المرارة من فمي .

- هل أنت متأكد ؟!

- نعم .

- هل تعتقد أن بإمكانك التماسك حتى ننزل الهضبة ؟ فالحجارة والنبع هناك .

- نعم .

- سأحط الخيمة عن ظهرك لتنال قسطاً من النوم . . يمكنك التماسك، إليس كذلك ؟ فالمسافة ليست بعيدة، هل تريد أن أحملك على ظهري ؟ . . . رفضت ذلك .

- سأحمل الخيمة إذن .

رفع درانكل الخيمة من على ظهري وحملها على كتفيه . . كان يحمل أيضاً شنطة أدوات الطبخ على ظهره . . الخيمة على كتف والبندقية على الكتف الآخر والزجاجات في جيوبه . . بدا الأمر وكأنه يحمل الكثير . . بالرغم من ذلك، كان يمسك بيدي ليساعدني في نزول الجبل . . كنت سعيداً حينئذ وأنا مع درانكل و آرن . . ممسكاً بيد درانكل حتى وإن كنت لم أعد صغيراً . . أصبحت رجلاً مثلما كانت تقول لي أمي دائماً . نزل جيشنا الصغير الجبل إلى قلب الوادي حيث كانت الأرض مسبخة، لذا حاولنا السير بعيداً عن تلك البقعة وعن حفرة كبيرة مظلمة مربعة الشكل في الأرض والتي تؤدي إلى نفق منجم قديم . . سرنا حول هضبة صغيرة إلى أن وصلنا إلى نبع صغير بعيداً عن البقعة المليئة بالسباخ . . كانت هناك حجارتان كبيرتان فجلست ساناً ظهري على إحداهما . .

أكلت بعض البسكويت مع آرن، نصب درانكل الخيمة على بقعة جافة من إلي‌ابس.. فك الموقد.. أحضر بعض الماء من النبع وغلاهم.. أعد الشاي فشربته.. كان دائماً يطمئن على ويسألني إن كنت على ما يرام. بدأت السماء تمطر قليلاً بالرغم من أننا في فصل الصيف.. أمرني درانكل بطريقة لطيفة أن أدخل الخيمة لأحتمي بها من المطر ففعلت، كنت سعيداً في هذه الخيمة مع آرن والمطر الخفيف يهطل بالخارج وسرعان ما رحت في نوم عميق. أحببت تلك الحجارة والنبع.. كوني في الخيمة مع آرن الراقد بجواري ودرانكل بالخارج ومعه بندقيته لمواجهة الوحش، كذلك أحببت أن تحضر ريانون ومعها الحساء لاحقاً.. أن أكون في المناطق الجبلية العالية بعيداً عن زوج أمي.. كل هذه الأشياء جعلتني أخلد للنوم بهذه السرعة والسهولة.

أيقظتني ضوضاء كقرع الطبول.. كانت لصوت المطر الذي يهطل على الخيمة بشدة، تحسست آرن لأطمئن عليه.. لكنه لم يكن هناك، إتجهت نحو باب الخيمة المفتوح.. نظرت إلى الجو الممطر والضباب والجبال.. رأيت درانكل مرتدياً زياً ثقيلاً بغطاء على رأسه ويشرب الخمر كعادته جالساً على إحدي الحجارتين الكبيرتين.. كان آرن معه أيضاً وما إن رآني هناك أمام الخيمة حتى

ركض نحوي سعيداً . . داعبته ودخل الخيمة معي . . جلس بجواري ورآني درانكل فقال لي مبتسماً :

– هل تشعر بتحسن يا فتي ؟ أعتقد أن القليل من النوم كان مجدياً لك . . إليس كذلك؟

عجزت عن الإجابة لأني إستيقظت فحسب . . سألته إن كان قد رأي أي وحوش أو حيوانات أثناء نومي . . فقال :

– لم أر أياً منها هنا، (مشيراً بزجاجته إلى الجبل) . . هنالك طعام لك في تلك الشنطة . . إبحث في جيبها، مشيراً إلى جانب الخيمة .

توجهت إلى هناك . . ولحق بي آرن . . وجدت شنطة بها بعض الأطعمة . . قطعة شيكولاته "مارس"، كيس سناكس، تفاحة وبعض المقرمشات . . وبينما كنت أفتح كيس السناكس، إرتفعت عينا آرن الحمراوتين وحاجباه ليعرف مصدر الخشخشة فأعطيته قطعة . . أكلها وأكلت أنا أيضاً .

إستمر المطر يهطل بغزارة على الخيمة . . سألت درانكل إن كان يريد دخول الخيمة معي أنا وآرن بعيداً عن المطر لكنه رفض . . قال إنه يحب إحساسه بالمطر وهو يهطل على جسمه وأن الحجر الذي يسند عليه هو كل الذي يحتاجه للحماية من المطر . . لم أدرك كيف يكون ذلك . . فمن الممكن أن يتحول الجو فجأة إلى عاصفة

تقتلع الحجر من مكانه.. كانا حجران طويلان مثبتان قليلاً بالأرض.

بدأ درانكل يتحدث بطريقته المعتادة، بدأ يسرد قصصه الغير مفهومة التي لا أراها قصصاً حقاً، والتي أسميها "كلمات درانكل" فحسب.

قال مشيراً بزجاجته إلى مكان ما خلال المطر الذي يهطل على الخيمة :

– هل تري تلك الربوة البعيدة هناك ؟

هناك ملايين من الربي في البقاع المرتفعة.. لم أعرف أي واحدة يعنيها فتظاهرت بأني أفهمه.. وكزني آرن بأنفه فأعطيته قطعة من السناكس وأكلت أنا قطعة الشيكولاته .

يطلق عليها القاطنين هنا إسم الربوة الهائجة أو عربة دفن الموتي.. كلاهما يعنيان نفس الشيء ويستخدمونها في دفن الموتي.. بداخل هذه الربوة، عظام لشخص ما مهم بالنسبة للذين إعتادوا على العيش هنا بأعلى.. بداخلها أيضاً عظام أخري وأشياء كمجوهرات.. وأسلحة.. كذا عظام لكلب أو حصان عزيز على صاحبه . كان هؤلاء القوم يوقرون الكلاب.. أتفهم لماذا ؟.. بسبب دور تلك الكلاب في عمليات الصيد .

توجست خيفة من كلام درانكل.. شعرت بالقلق على آرن.. وضعت يدي الخالية من قطعة الشيكولاته على ظهره لأتأكد أنه

على قيد الحياة.. نعم، يتنفس.. إنه حي.. لم يكن جثة هامدة كبقية الكلاب الملقاه عظامها في الجبل.. أسعدني ذلك حقاً .

– ربما كانت تلك العظام بداخل الربوة لحيوانات تم إصطيادها كالغزلان أو خنزير بري – شيء من هذا القبيل – كان الناس قديماً يقتلون الحيوانات بطريقة مختلفة عما نفعله اليوم.. كانوا يقتلونها ليأكلون لحومها ويلبسون ثياباً من جلودها وصوفها ويصنعون من عظامها وحوافرها وقرونها وأسنانها أشياء كثيرة . لم يكن الناس في ذلك العهد ينظرون للصيد على أنه إنتصار على الحيوانات فحسب.. بل كانوا ينظرون له كنوع من إحلال روح هذه الحيوانات في أجسادهم أيضاً.. وكانوا يسعدون لذلك.. أتفهم كلامي هذا أم تراه ترهات غير مفهومة ؟

إحدي هذه الأسئلة مرة أخري التي يسألها لي درانكل دائماً.. لم يكن ينظر إلى حتى وهو يسألها.. حقاً يا درانكل.. أنت تهذي كثيراً !.. إستمر المطر يهطل محدثاً ذلك الصوت ككثير من الأصوات التي تأتي من السماء.. لم يعد درانكل يسأل أسئلته الغير مفهومة.. كان منصتاً لصوت المطر فحسب، نظرت إلى الربي المبتلة وأنا في خيمتي الجافة ومعي الشيكولاته وآرن.. وجدت أن الربي تشبه القبور.. فكرت في العظام المدفونة هناك في الوحل والحجارة.. . فشعرت أنه ربما يكون هناك مستقبل، بينما كنت

أفكر في المستقبل والماضي.. في أن تلك العظام كانت يوماً ما مكسوة باللحم والجلد.. كانت لإناس على قيد الحياة.. عندئذ.. تخيلت تلك العظام وقد دبت فيها الروح بالفعل.. تحولت إلى إناس يتحركون هنا وهناك.. ربما هذا نذير سيىء.. سيسوء الأمر وسيتحول إلى حلم من أحلامي.

شعرت بدوار خفيف برأسي.. بطعم المرض المر في فمي، لكن لا أحسه جيداً مع قطعة الشيكولاته التي آكلها.. سمعت صوت المطر الساقط على الخيمة.. رأيت بعض الوميض في السماء فوق الجبال المرتفعة وكأنه البرق فحسب – دون سماع صوتاً للرعد – حينئذ بدأت الهواجس تتجسد أمامي كلها.. وميض خلف الجبل يظهر ويختفي.

لمست رأسي لأتأكد من وجود الريش في شعري.. سعدت جداً أنهم لم يقعوا أثناء نومي.. ثم تحسست الطحالب والحجارة في جيوبي وعراوي الحزام.. كل هذه الأشياء – التي أراها مهمة جداً – جعلتني أشعر بتحسن بعض الشيء وبأني لست خائفاً من شيء.

مازال صوت المطر وهو يهطل يدوي كقرع الطبول في أذني.

أتري.. من سكنوا تلك الجبال منذ زمن بعيد، تتضح بصماتهم في الريف والبلد بأسرها.. كيف فعلوا هذا بحق المسيح ؟ كل

بقعة على الأرض تدل على شيء مميز وكل تجويف أو تل صغير يحمل معني معين . فقد نزحوا البحيرات . . أحرقوا النباتات . . قطعوا الأشجار . . طوقوا مناطق شاسعة من الأراضي بحوائط وقنوات . . غيروا معالم الريف . . وبالتالي تبدل التاريخ كله .

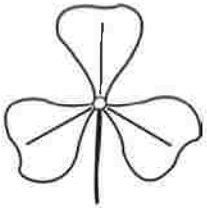

- ٥ -

فشيدوا المقابر . . عربات إلى لحد . . الربي لدفن الموتي بها والحجارة منذ مئات السنين - ربما قبل بناء الأهرامات - ما الغرض من كل ذلك ؟ ليواجهوا الشرق ويمنعوا تقدمه . . . لماذا ؟

نظر درانكل إلى هذه المرة . . أرادني أن أجيبه . . لكن لم أستطع ذلك . . ليس بسبب قطعة الشيكولاته والمرارة في فمي . . أو دوار رأسي . . أو تداخل الأحلام بعضها ببعض أمام عيناي فوق قمم الجبال العالية حيث إستمرار وميض البرق . . ليس بسبب أي من تلك الأمور . . لم يكن لديّ إجابة لذلك السؤال فحسب .

– بإرادة فولاية وعضلات قوية شيدوا كل هذا . . أتفهمني ؟ ! . . ثم كيف تمكنوا من استخدام علمهم بالنجوم والتقويم في معرفة فصول السنة ؟ لا أحد يمكنه تفسير ذلك .

ياه يا درانكل . . توقف عن طرح تلك الأسئلة . . أرجوك . . فهي تجعلني أشعر بالدوار أكثر وأكثر .

– كانوا يعرفون حركات الشمس والقمر . . هذا مذهل وساحر حقاً . . كما يستغلون كل شيء وأي شيء متهالكاً وبالياً ويصنعون منه شيئاً قيماً .

كان هذا الإستغلال الأمثل للأشياء موجوداً منذ آلاف السنين . . منذ عصر الديناصورات والإنسان البدائي . . في تلك الجبال العالية حيث كانت تعيش الديناصورات . . ربما لا يزال إحداها موجوداً هناك وهو الذي قتل الخراف . . ياه ! إنه هناك ! يبدو لي ديناصوراً يتجه نحو سفينة فضاء . . هناك ! إنه ديناصور من الفضاء ! ! تباً له . . إننا نطارد وهماً يا فتي .

أصوات كثيرة . . يهطل المطر مصدراً أصواتاً كثيرة من حولي . . على رأس آرن . . على الحجر الذي يجلس عليه درانكل .

– يا لها من مهمة شاقة ! أن يقطعوا الحجارة من الصخرة بأسفل . . يسحبوها لأعلى وينصبوها هنا . . ما سبب كل هذا

؟ لأسباب غير معلومة بالمرة. . أعتقد أن هناك سبب شخصي وهام جداً لقيامهم بذلك. . لا أحد يعرفه .

إستمر الدوار برأسي وتمنيت لو توقف درانكل عن هذا الكلامالغامض. . هذا الهراء .

– بالرغم من أننا من نسل هؤلاء الرجال. . أجدادنا . . الذين نصبوا تلك الحجارة هنا بأعلى. . تسري فينا نفس الدماء. . إلا إننا لا نفهم سبب قيامهم بذلك . كذلك تلك الكتل الحجرية التي شيدوها على تلك القمم وسلاسل الجبال ليراها الجميع. . لا أهمية ولا قيمة لها على الإطلاق. . بلا شك كانوا يعاقرون الخمر ويتعاطون المنشطات ليشيدوا هذا الهراء .

إبتسم درانكل مشيراً بزجاجته إلى الجبال العالية من حوله مجدداً .

– عندما انتشرت الديانة المسيحية في إنجلترا، رأي رجال الدين أن من شيدوا تلك الحجارة لا يعتنقون أي ديانة لتعاطيهم الخمر والمنشطات. . التي تحرمها كل الأديان .

ضرب الحجر بيده بشده فأصدر صوتاً مدوياً .

– بما إننا من نسلهم. . ربطوا بيننا وبينهم. . رأوا أن تفكيرنا غير سوي مثلهم. . حتى أصابني الجنون وتعاطيت الخمر. . ففي العصور الوسطي، بذل العمالقة القدامي جهداً كبيراً لنصب تلك

الحجارة – والتي أراها مجرد حجارة فحسب – لكن أصبحت في يومنا هذا مرجع تاريخي.. حاسبات إلهه للعصر الحجري.. يا لها من حجارة سحرية حقاً .

إختفت الديناصورات والسفن الفضائية التي تخيلتها أمامي في الجبال العالية.. تجسد أمامي الآن السحرة والحاسبات الإلهة.. مازلت أشعر بالدوار في رأسي.. كل الهواجس تتداخل مع بعضها في مخيلتي.. يبدو أنني سأعايش حلماً الآن .

مازال المطر يهطل بغزارة .

– إتسم هؤلاء الرجال بالبأس الشديد.. بالرغم من شعورهم الدائم بالحزن والألم .

أرجوك يا درانكل.. إخفض صوتك قليلاً.. رأسي تدور.. هواجسي وأفكاري تتداخل مع بعضها..

– إستخدموا تلك الحجارة كخزائن لإخفاء كنز الملوك.. كنز الملك لويس.. يا لهؤلاء الرجال.. عبدة الآلهة ما قبل الديانة المسيحية ! لم يقدهم تفكيرهم الغير سوي إلى بذل ذلك المجهود الكبير لنقل تلك الحجارة عديمة الفائدة هنا بأعلى فحسب بل أيضاً إلى إغراء الشباب للرقص ومعاقرة الخمر.. إشهد عليهم أيها المسيح !

أصوات كثيرة من حولي.. صوت المطر كقرع الطبول.. صوت الماء وهو يتساقط على الخيمة.. صوت تنفس آرن.. كل هذه الأصوات تتداخل مع بعضها البعض وتتحول إلى حلم واحد فقط.

تحدث درانكل بكلمات غريبة فقلت في نفسي: لا يا درانكل.. توقف عن هذا الهراء.. أرجوك.

- كانوا يقدسون تلك الحجارة كتقديسنا للإنجيل يا فتي، ك... بحق المسيح، ماذا بك؟ هل أنت بخير؟

تتداخل أحلامي وأفكاري مع بعضها البعض.. تتجسد أمامي في حلم واحد..

- يا إلهي! بحق الجحيم.. شعرت بدرانكل يحملني.. رأيت أضواءً لامعة تومض كالبرق في ذهني.. وضعني درانكل بالقرب من النبع حيث سمعت صوت المياه كالضحك.. شعرت بالمطر يتساقط على وجهي.. رأيت السماء رمادية اللون.. نظرت بعيداً فرأيت آرن وأنا وغربانا تطير حولنا.. مددت ببصري أكثر فرأيت وميضاً لامعاً.. هناك.. شعرت بجسدي خفيفاً.. محمولاً في الهواء.. رأيت العالم يبتعد ويتضاءل ويصغر حجمه ليصبح كحبة البازلاء.. رأيت نفسي والغربان تحملني لأعلى من ذراعايّ وساقايّ.. تضرب بأجنحتها الهواء.. تحملني لأعلى حيث الظلمة في ذلك الإرتفاع الشاهق لدرجة أن البلدة..

الجبال.. كوكب الأرض بأكمله تحول إلى حبة بازلاء فحسب – هكذا أصبحت أطلق عليه كوكب البازلاء – كانوا بعيدين جداً بأسفل.. درانكل.. أمي.. زوج أمي.. آرثر.. ريانون.. وحتى آرن.. كل الناس كانوا في مكان ما على كوكب البازلاء، وفجأة تركتني تلك الغربان.. طارت بعيداً.. فوقعت قليلاً ولكن حملني هذه المرة طائر واحد.. كان الصقر.. أمسك بي بمخالبه في ظهري.. لم تؤلمني بالمرة.. رأيت جناحيه على جانباي ووجهه فوق رأسي.. حملني إلى مكان بعيد جداً عن كوكب البازلاء.. إخترق الظلمة من حولي.. إلى ضوء أبيض لامع.. تركني هناك وطار بعيداً مثلما فعلت الغربان.. لم أسقط هذه المرة.. بل رقدت في ذلك الضوء اللامع.. وكأنه وسادة.. رأيت فيه أشكالاً.. سمعت ضوضاء.. رأيت الثور سنوبول.. رأيت أمي قبل أن تقابل ذلك الوغد – زوجها – كما رأيت العمة فاي وقد خرجت أيضاً من ذلك الضوء بإبتسامة تعلو وجهها.. لم تكن مشنوقة على شجرة.. ذراعيها تحيطاني من الخلف مثلما كان الحال وأنا معها على الحصان من قبل.. أحبتني وأحببتها أنا أيضاً.. أخبرتني بأسفها لأنها تسببت في حزن الكثير.. بأنها غير نادمة على ما فعلته.. هناك أمور كثيرة بأسفل في كوكب البازلاء تحزنها.. أخبرتني أني سأعايش أحلاماً أخري في

المستقبل.. أني سأكون أفضل حالاً عندما سأعود أدراجي لأسفل.. أن درانكل أيضاً سيكون بخير حال.. ضحكت حينئذ.. لأني لم أعرف أنها تعلم إسم "درانكل" هذا الذي أطلقه على خيالي.. سألتها بعقلي كيف عرفت ذلك.. فقرأت أفكاري وأخبرتني أنها تعرف كل شيء.. كل ما حدث وسيحدث بعد ذلك.. أننا سنمر بأوقات عصيبة ولكن سنجتازها.. لم أعرف ما عنته بذلك.. سألتها بعقلي عن معني ذلك.. لكنها لم تجبني.. أبعدت ذراعيها عني.. أردت أن تحيطني مرة أخري.. أومأت برأسها ثم إختفت.. إبتلعها الفضاء.. الضوء الأبيض من حولي.. كان فيه أسماء كل قطرة من قطرات المطر التي تسقط على الأرض.. كل شيء حدث وسيحدث منذ أن خلقت الأرض حتى فنائها.. اسم وعدد الأعشاب على كوكب الأرض.. وقت موت كل حشرة.. كل كائن حي أصغر منها.. نعم، حتى كل تلك الكائنات الحية الدقيقة.. كل حرب خاضها وسيخوضها الناس على كوكب الأرض.. عدد البيض التي وضعته وستضعه كل أنثي حشرة أو طائر.. كل حوت.. كل موجة.. كل حبة رمل على كل شاطيء.. وكأنما سأعايش حلماً داخل حلمي هذا.. لم أحب التفكير في ذلك.. حتى وإن كان مقدراً له أن يحدث.. سحبني الضوء الأبيض من حولي بسرعة وفجأة

للداخل.. إلى عمقه.. شعرت بالحزن أكثر من ذي قبل.. أكثر من حزني على وفاة أبي.. على أمي بعدما ضربها زوج أمي الوغد.. على نفسي عندما أهانوني بالمدرسة.. على وفاة سنوبول.. وحتى على وفاة العمة فاي.. أخبرني الضوء الأبيض حولي بصوت جهوري كصوت العقل.. مطابقاً لصوتي.. أن العالم الآن الصغير جداً كحبة البازلاء.. البعيد جداً بأسفل.. مليء بالحزن حتى أنه لا يوجد مكان فيه للفرح والسعادة.. فكرت في مدي كبر العالم وأنا عليه قبل الدخول في حلمي.. ففكرت في مدي حجم الحزن عليه.. حزنت جداً لتخيلي أن كل شيء بأسفل حزيناً.. حتى آرن.. لا أحد يمكنه القضاء على هذا الحزن.. لما بدأت أبكي وإحتجت أن يضمني الفضاء من حولي.. أن يخفف عني مثلما كانت تفعل العمة فاي.. أشاح الكون بنظره عني.. رآني وسمعني أبكي ثم إبتعد عني.. علم أنني إحتجته ليضمني إليه.. لكنه لم يهتم وإبتعد فحسب.. كنت سأنادي عليه لكن.. سقطتُ فجأة منه.. مخترقاً السحب التي كانت تبدو كالوسادات.. وبسرعة.. إخترقت السواد والظلمة.. مررت بكوكب البازلاء – كوكب الأرض – سقطت أسفله.. لم يكن هناك صقراً طيباً ليحملني هذه المرة.. سقطت في ظلمة مرعبة معتمة كبحيرة بالا.. شعرت بوحل بارد يضغط على جسمي

ووجهي من أعلى.. كرهته للغاية لبرودته والسواد اللزج الذي يلتصق بي.. غصت في هذا الوحل اللزج الحالك السواد.. أسفل كوكب البازلاء.. إستطعت الرؤية في الظلام نوعاً ما.. كنت في كهف كبير.. رأيت أشياءً لم أريد رؤيتها حقاً.. رأيت رجلاً نحيفاً جداً.. تبرز عظامه من جسده.. وأسنانه أكبر من رأسه.. أخبرني بصوت مطابق لصوتي أنه سيد الحاجة.. ثم رأيت رجلاً بديناً وضخماً للغاية.. ذراعيه مكان ساقيه وساقيه مكان ذراعيه.. أخبرني أنه سيد الفوضي.. ثم رجلاً بسرب صغير من الدبابير مكان وجهه.. أخبرني أنه سيد المرض.. ثم إقترب مني شكل ينفض من صدره قلباً كبير الحجم كحجم السيارة.. لديه ذراع كذراع الحبار به ماصات.. أخبرني أنه سيد الرغبة: يصدر هذا القلب الضخم صوتاً.. ينفتح.. رائحته كريهة كرائحة فناء مزرعة درانكل بعدما ماتت فاي.. رأيت فيه كل الأشياء التي تسببت في حزني وأنا في الضوء الأبيض بأعلى.. ملايين الملايين من الأشياء المحزنة تناثرت حولي ولها أزيز مشكلة سحابة من أشياء متناهية الصغر.. لا يمكن رؤيتها بوضوح، كانت كعيون إلى رقات.. ملايين الملايين منها.. شكلوا أنفسهم إلى أربع مخالب

أمامي لقدم صقر كبير للغاية.. جذب كل مخلب أحد أطرافي.. ذراعايّ وساقايّ.. وقبل أن أتنبه لما يفعلوه، كانت أطرافي كلها قد قطعت.. أمسكت المخالب التي كانت كل منها على شكل سرب من الدبابير بأطرافي أمام عينايّ.. لم أشعر بالألم في البداية آنذاك.. أردت رؤية كيف تقطع أطرافي بهذا الشكل.. ثم بدت وكأنها ماتت.. فحزنت وكرهت ذلك حقاً.. تساقطت أطرافي من حولي.. ضحك هؤلاء الأسياد.. أخبرني أحدهم أن الذي أشعر به الآن من وحدة وخطر محقق والأحاسيس السيئة بداخلي: الوحدة والخطر والسوء هي العناصر الأساسية في العالم.. حول كل إنسان.. هي التي تريده أن يشعر دوماً بالحزن.. تبدد أي شعور بالسعادة بداخله.. سألت هؤلاء الأسياد إن كانوا أشباحاً.. ضحكوا وأخبروني أنهم مثلي تماماً.. ثم ابتعدوا.. حينئذ ظهر أمامي هيكل عظمي.. علمت أنه هيكلي.. عظامه تشبه العظام تحت الربوة التي تحدث عنها درانكل.. هناك على كوكب البازلاء.. فوقي الآن.. لم

أكن خائفاً من رؤية نفسي كهيكل عظمي.. في الحقيقة، شعرت بأني أفضل حالاً برؤيته.. حتى وإن كنت بلا أطراف.. لأنه العظام التي ستظل طويلاً في مواجهة الوحوش.. الشمس.. الرياح.. والمطر.. تبدو لي تلك العظام وكأنها تحررت من شيء ثقيل عليها.. اللحم والجلد.. وبدت خفيفة.. كنت سعيداً بذلك.. وما إن ضحكت حتى أعادت المخالب السربية لي أطرافي على هيكلي العظمي.. ثم رفعتني ووضعتني على الهيكل أيضاً.. شعرت بأني شخص جديد.. أري بعينين جديدتين.. نظرت لأعلى إلى كوكب البازلاء.. رأيت كيف كان هذا الكوكب عجوزاً مريضاً يصارع الموت.. تألمت جداً لأن كل من أعرفهم كانوا يصارعون الموت.. يعانون على هذا الكوكب الذي أدركت حينئذ أنه كبير جداً – ليس كحبة البازلاء كما أراه الآن – نظراً لكبر حجم الحزن بداخله.. نظرت إلى ذلك الحزن الكبير الذي يعم الأرض.. فعلمت ما ينبغي على فعله.. عرفت المهمة الضخمة التي ينبغي على القيام بها.. هي أن أنتصر على الشعور بالحزن.. أن أقهر الوحدة والخطر المحدق بي وبمن حولي.. ألا ألقي بالاً بشيء حدث وولي في الماضي حتى يمكنني خلق عالم جديد – كما أخبرتني أحلامي – على القيام بتلك المهمة ليس فقط من أجلي بل أيضاً من أجل العالم بأسره !.

وما إن تقدم الأسياد نحوي ليهجموا على مثلما هجم آرثر على الرجل النحيف في موقف سيارات الحانة حتى بدأت أشعر بالذعر لكن فجأة.. سمعت صوت طائر يقترب.. هجم الصقر الطيب على الأسياد الذي ن فروا هاربين.. مددت ذراعايّ لينجدني.. كالطفل الذي يمد يده لأمه.. فالتقطني وأصبحت في أمان.. طار بي عاليا حتى إقتربت من كوكب البازلاء الذي عاد لحجمه الطبيعي – كبيراً ثانية – أغمضت عينايّ من شدة الهواء.. وما إن فتحتهما حتى رأيت نفسي طافياً فوق الجبال العالية.. رأيت من أعلى الحفرة بالأرض.. الجبال.. الخيمة.. الحجارة.. النبع.. درانكل ممسكاً بشخص ما و آرن يجري خلف درانكل بقلق شديد.. إقتربت أكثر من كوكب البازلاء فرأيت أن درانكل يمسكني !!.. عندئذ، أردت أن أدخل في جسدي الموجود على الأرض مع درانكل.. أفلتني الصقر الطيب.. وقعت في النهر.. لم أشعر بالبرودة ولا بصدمة السقوط.. فما إن سقطت في الماء حتى تحولت إلى سمكة.. شعرت بزعانفي.. ذيلي.. أحببت ذلك.. رأيت مكاني – حيث درانكل وآرن.. وجسدي – على بعد أميال.. يمكنني السباحة هذه المسافة عابراً شلالات..

سابحاً بأنهار.. أحببت السباحة في النهر كباقي الأسماك.. الطحالب.. سمندالات الماء والروبيان الذي ينظر إلى من تحت حجر مكسو بالطحالب.. رأيت فتحة في منحدر.. دخلت فيها لأجد نفسي أسبح في نفق أسود ضيق حيث إعتقدت أنني سأجد أحد الأسياد.. لكني إندفعت في ضوء أبيض كاندفاع الرصاصة من المسدس.. أطلقت من النهر إلى الهواء.. قريب جداً من درانكل ومني – من جسدي – عندما سقطت على الأرض.. دخلت في جسدي.. إتحدت معه.. استعدت وعيي – عدت إلى أرض الواقع – شعرت فجأة ببلل ورعشة في جسدي.. ذراعا درانكل تحيطاني وتمسكاني جيداً.. أحسست بطعم الدماء في فمي.. سمعت آرن ينبح.. لم أستطع الحراك.. صحيح أنني إستعدت ذراعايّ وقدمايّ.. لكن لم أقو على تحريكهم.. ولا حتى الكلام.. لم أستطع فعل شيء سوي أن أفتح عينايّ.

– شكراً للرب.. شكراً للرب.. إستعدت وعيك ثانية.. شكراً أيها المسيح الطيب.

أحسست بشعر درانكل الخشن يوخذني في وجهي وهو يقبل رأسي.. نظرت إلى آرن وقد توقف عن نباحه.. أخذ يهز

ذيله.. لكن لازال القلق الشديد بادياً عليه.. أردت أن أداعبه لكن لم أقو على تحريك ذراعايّ .

– أحلامي .

– أحلامي .

نظر درانكل إلى وجهي بعينيه الحمراوتين – ليس كإحمراء أذني آرن – وبشعر ذقنه الخشن.. سألني إن كنت بخير.. أومأت إيجاباً.. أخذني داخل الخيمة.. وضعني برفق في حقيبة النوم.. أخبرني أني بحاجة إلى الراحة.. جاء آرن إلى الخيمة أيضاً.. رقد بجانبي فأحطته بذراعي.. أحب ذلك فأخذ يهز ذيله فرحاً.. وإبتسم درانكل أيضاً.. لكن لايزال القلق واضحاً عليهما.. فكرت في المرض والحزن الذي سيصيبهما.. سيحيط بكل شيء حولهما.. لكن لم أخبرهما بشيء.. أعتقد أني أعرف الذي ينبغي على القيام به.. وإن كنت لست متأكداً من ذلك!

لا فرق بين النوم وإلى‌قظة بالنسبة لي فكليهما أري فيهما أحلاماً.. أشعر بجسدي خفيفاً.. تصعد روحي لأعلى بعيداً عن الأرض.. أدخل في الحلم وأعايشه.. لكن أشعر بسعادة كبيرة قبل بداية حلمي كما لم أذق طعم السعادة من قبل، برغم رؤيتي للأسياد وللرعب الذي إعتراني آنذاك.. برغم معرفتي للحزن

الذي سيعم الأرض.. برغم كل الأمور التي عرفتها في حلمي هذا.. والتي لم أعرف كيف التعامل معها وما يجب على فعله حيالها.. كنت سعيداً جداً لوجودي هنا في الجبال العالية مع آرن ودرانكل في الخيمة.. أعايش أحلامي التي لم تفارقني قط.

هكذا تبدو أحلامي.. كرفيق حياتي.. يلازمني دوماً في كل الأوقات.

لازال الظلام يعم المكان.. إستيقظت من نومي.. أدركت أني لازلت في الخيمة.. شعرت بجانبها البارد يضغط على وجهي.. لم أسمع صوتاً للمطر على الخيمة الآن.. لابد أنه توقف.. لكني أسمع أصوات غطيط آرن ودرانكل.. أشم رائحة آرن الكريهة ورائحة الشراب في غطيط درانكل كالعادة.. كنت بالخيمة الجافة.. أشعر بالدفء والأمان بعيداً عن الوحش الطليق بالخارج في مكان ما في الجبال العالية.. شعرت بالسعادة وأنا في الخيمة مع درانكل وآرن.. أحببت أصوات غطيطهما.. وإن كانت عالية.

فكرت في أحلامي.. في آخر حلم عايشته.. عرفت أن الحزن سيعم الأرض.. قابلت فاي والأسياد.. رأيت أطرافي تقطع.. تبدو أحلامي دائماً على هذه الشاكلة – بالقدر الذي أتذكره منها – أصعد لأعلى فأعلى حتى أري كوكب الأرض صغيراً

كحبة البازلاء.. أقابل طيوراً.. أتحدث مع أرواح.. وأشياء من هذا القبيل.. لكن لم أر من قبل في أي حلم آخر هيكلي العظمي بهذا الشكل.. لم تقطع أطرافي من قبل بهذا المنظر أيضاً. أري دائماً غرباناً.. صقوراً.. وحيوانات أخري.. في الحقيقة، أري دائماً غرباناً تحملني لأعلى.. بعيداً عن الأرض.. لكن لم أر من قبل صقراً طيباً ينقذني. رأيت نفسي قبل ذلك كالسمكة.. كالأرنب البري أيضاً.. بل في حلم ما، رأيت نفسي كالخفاش.. لكن لم أسبح من قبل في نهر كهذا.. لم أعد لجسدي – الذي يظل دائماً على الأرض أثناء صعودي للسماء – بهذا الشكل من قبل.. لم يذكر لي أحداً من قبل أي شيء عن الحزن والمرض الذي سيعم الأرض.. لكن يبدو لي وكأني أعرف هذه الأمور من قبل.. حتى قبل أن يخبرني بها الأسياد والفضاء بأعلى.. لكن لم أشعر بمثل هذا القدر من الحزن في أي حلم قبل ذلك.. علمت أنه ينبغي علي القيام بشيء ما للقضاء على ذلك الحزن في الواقع وفي ذهني أيضاً.. أري دائماً هواجساً وأطيافاً تعدو أمامي كالبرق الخاطف قبل بداية أحلامي.

تختفي كل الأشياء التي أراها في أحلامي عندما أستيقظ أو أعود إلى وعي.. كلها تتلاشي كمثيلاتها.. أو تظل مشوشة غير واضحة في ذهني.. وكأنما لا يمكنك رؤية الناس بوضوح.. فتري

طيفهم فحسب.. يبدو الأمر دائماً بهذا الشكل عندما أفيق من أحلامي.. وإن كنت لا أحب ذلك.. يمكن ألا تعني هذه الأحلام شيئاً.. فهي مجرد خيالات.. أحلام فحسب.

عايشت بعضاً منها من قبل وسأعايش الكثير منها بعد ذلك.. عدت إلى نومي مرة أخري في الخيمة الآمنة المظلمة حيث أصوات الغطيط والروائح من حولي.. والعالم الذي يعيث فيه الوحش خارجها.

وما إن رحت في نوم عميق حتى رأيت أشياءً في مخيلتي.. كان حلماً من أحلام آخرين – فلم أكن أعايش ذلك الحلم – رأيت أشخاصاً في بلد أخري بعيدة.. في عصور ماضية.. كانوا رجالاً من القطب الشمالي.. يعايشون أحلامهم في المناطق الثلجية.. رأيت بعض الهنود الحمر في الغابات الجليدية.. رجالاً بملابس ثقيلة في الصحاري.. رجالاً ببشرة سمراء في أستراليا وإفريقيا.. أماكن كهذه.. بعضهم من زمن مضي.. آخرين من الحاضر.. والبعض الآخر من المستقبل.. مثلما أخبرتني روح العمة فاي – التي تحدثت معي في الفضاء بأعلى في حلمي السابق – بأني سأعايش أحلاماً أخري تأتي.. جميعهم في أحلامي.. لكنهم يعايشون أحلاماً خاصة بهم.. حينها، علمت أن هناك.. وكان هناك وسيكون هناك في المستقبل الكثير مثلي.. يعايشون

أحلاماً – أحلامهم أو أحلاماً لآخرين – حتى إن لم يكن مقدراً لنا أن نتقابل أبداً . . ربما أكون جزءاً من أحلامهم . . أحببت تلك الفكرة جداً .

لم أعد أشعر بالوحدة والحزن بعد الآن . . فهناك الكثير مثلي يعايشون أحلامهم في جميع أنحاء العالم في كل الأوقات . . نقوم جميعاً بنفس الشيء بطرق مختلفة . . في أماكن عدة . رحت في نوم عميق وبداخلي قدر من التفاؤل . . فأنا لست وحيداً .

إستيقظت من نومي . . وجدت ثمرة موز رطبة . . فنجاناً من الشاي . . لكن لم أجد البيض المقلي الذي أحب أن يعده لي درانكل .

– تناول طعامك بسرعة يا فتي، سنحزم الخيمة عاجلاً . . كيف حالك ؟

أجبته أنني بخير . . لكن أردت تناول البيض .

– هنا بأعلى ! وأني لي أن أجد بيضاً هنا ؟ أيعجبك تناول بيض الصقر على الإفطار ؟

إبتسم لي . . داعبني مثلما أداعب آرن . . سعدت بذلك قليلاً . . لكن لازلت أريد تناول البيض .

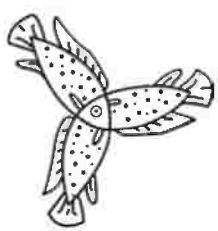

– سأعد لك البيض المقلي الذي تريده عندما نعود إلى المنزل.

خرج درانكل من الخيمة.. قشرت الموزة.. كانت سيئة، فأعطيتها لآرن الذي يأكل كل شيء.. أكلها ثم خرج سريعاً من الخيمة.. ربما ليقضي حاجته.. إحتسيت الشاي الساخن الجميل.. بدلت ملابسي.. شعرت بشيء ما يلتصق بأذني.. تحسست ذلك.. وكانت ريشة الدجاجة التي وضعتها في شعري من قبل.. لم أعد بحاجة إليها بعد الآن.. فإنتزعتها من شعري.. أخذت كل الحجارة والطحالب من جيوبي.. ألقيت بهم بالقرب من النبع لما خرجت من الخيمة.. لم أعد بحاجة إلى أي من تلك الأشياء.. فأنا في أحسن حال الآن بعدما شعرت بأني لست وحيداً.. بأن هناك آخرين مثلي يعايشون أحلاماً.. مما جعلني أشعر بالسعادة والتفاؤل.. كما إنه لا وجود لأي وحش هنا – كما قال درانكل – لا حاجة لي للحماية.. فما فائدة تلك الأشياء إذاً ؟!

كان درنكل يحزم الأغراض.. أدوات الطبخ.. بندقيته.. سألته عن بعض المناديل الورقية.. أعطاني إياها.. تسلقت ربوة صغيرة.. قضيت حاجتي.. عدت أدراجي لأسفل الربوة.. ساعدت درانكل في حزم الأغراض.. طوينا الخيمة ووضعناها في

حقيبتها الخاصة بها . . حملتها على ظهري . . وضع درانكل كل المهملات في كيس . . وضعه في كيس أكبر . . ثم في حقيبة على ظهره . . حمل البندقية فوق كتفه . . نادي آرن ليكتمل جيشنا الصغير الذي تحرك تاركاً خلفه الحجارة . . النبع . . متجهاً إلى الحانة حيث شاحنة درانكل .

لم تتحدث كثيراً في طريق العودة . . لم يشرب درانكل من زجاجة . . أدهشني هذا حقاً لأني أعرفه جيداً – يشرب كثيراً – حتى آرن . . لم يجر هنا وهناك . . لم يتنشق أي شيء أو ينبح . . كان يهرول فحسب صوب الحانة في مقدمتنا كأنه قائد الجيش . . لم أتحدث أنا أيضاً . . كنت أفكر فحسب في كل الأمور التي عرفتها في حلمي الأخير . . كل من قابلتهم من أسياد وأرواح . . كان حلمي الأخير هذا مختلفاً عن الأحلام التي عايشتها من قبل . . فبعد أن أستعيد وعي . . وينتهي كل حلم سابق . . أعود دائماً كما كنت . . لكن بعد حلمي الأخير هذا . . شعرت بنفسي متغيراً . . وكأنما غيرني هذا الحلم تماماً . . جعلني أشعر بالسعادة . . فأنا لست وحيداً بعد الآن . . تخلصت قليلاً من شعوري بالخوف . . أحببت ذلك الحلم حقاً . . أحببت تلك الأرواح والأسياد . . أخبروني بأمور كنت أعرفها مسبقاً . . لكن لم أعلم بذلك . . لم أعرف حتى سبب أو كيفية علمي بها . . لم أعرف كيف أفهم كلام

آرن أحياناً عندما يتحدث إلى . . كما لم أعرف سبب إختيار قطيط شارلسورث لي ليعضني .

-٧-

هبطنا من الجبال المرتفعة إلى جزء مسطح بينها . . لم أتذكر أننا مررنا بهذا المكان من قبل . . أردت أن أسأل درانكل عن ذلك . . لكنه طلب مني إلتزام الصمت مشيراً إلى الساحة حيث الكثير من الأشياء التي يمكن النظر إليها . . لم أعرف إلى أي شيء يشير . . فنظرت أمامي فحسب . . هناك سور وعليه غربان ميته مثبتة على الأعمدة كالخرق السوداء تضرب بأجنحتها الهواء كإنها لازالت حية وتحاول الفرار . . شجرة سوداء محروقة ضربها البرق من قبل . . وغربان أكثر ملتفة حول جذعها تقفز . . تضرب بأجنحتها . . ولا تطير . . صوتها قريب من الضحك والنباح في آن واحد . . قال درانكل هامساً : كأنها في إجتماع . . صمتت الغربان دون النظر إلينا . . هدأت قليلاً فحسب . . توقفت عن الضرب بأجنحتها والقفز . . سارت حول الشجرة وهي تنظر إلى الأرض . . أجنحتها مطوية كإلى دين خلف ظهورها . . تسير . . تنصت . . تفكر كالرجال المهمين .

قال درانكل بصوت عال للغربان التي إستمرت في السير حول الشجرة المحروقة وهي تنظر للأرض :

- جئت لأخبرك أن زوجتي توفيت.. إنتحرت.. شنقت نفسها على شجرة.. أنزلتها بنفسي جثة هامدة.. والآن قلبي محطم وسيظل كذلك للأبد.. دمرني موتها حقاً.. لن أعود إلى سابق عهدي أبداً.. لكني مازلت حياً.. وتقبلت ذلك ومرت الأيام.. أردت أن أخبرك أنه لا وجود لفاي في الدنيا بعد الآن.. ماتت ورحلت للأبد.. لا شيء يعيدها لي ثانية أبداً.

سارت الغربان.. نقرت الأرض وكأنما تفكر في كلام درانكل.. تنهد آرن فجأة فضربت الطيور بأجنحتها الهواء.. لم تطير بعيداً.. حطت على فروع الشجرة السوداء.. كأنها أوراقها المحروقة.. إستقرت عليها محدثة أصواتاً عالية.. وكأنما أعطاها كلام درانكل مادة للحديث.. شعرت بالقلق عندما بدت الغربان كالأوراق المتكلمة.. ففي يوم ما، رأيت حلماً سيئاً كهذا.. فكرت في الغربان التي حملتني ليلة أمس في حلمي.. زاد ذلك من ربكتي وقلقي.. نظرت إلى درانكل الذي يبتسم.. ينظر إلى السماء ووجهه مصفر وعينيه حمراوتين بعض الشيء.. نظر لأسفل.. وجدني أتطلع إليه.. فأحاط رأسي بذراعيه.. ضمها إلى صدره الدافيء الجميل حيث شممت رائحة العرق.. زيت الشاحنة.. دخان الغابة في ملابسه.. شعرت بثقله على وجهي.. تركني.. داعبت آرن قليلاً.. واصلنا السير إلى الحانة

دون التحدث كثيراً . . لكن بدا درانكل أفضل قليلاً . . أكثر سعادة من ذي قبل . . لا تحدث قدماه صوتاً عاليا عند سيره في موقف السيارات الخالي حتى وصلنا الحانة بعد وقت قصير .

كان شارع الحانة خالي من الناس . . لكن ملي بالسيارات المركونة . . وضعنا الأمتعة . . الخيمة . . كل الأغراض في شاحنة درانكل . . ركبنا . . قدنا عائدين إلى منزل درنكل . . لازال الناس في الجبال العالية يبحثون عن الذي قتل الخراف . . أردت أن أسأل درانكل لما لم نظل هناك مثلهم . . لكني عدلت عن سؤاله . . فضلت العودة إلى المنزل . . عدنا إلى منزل درانكل ذو الرائحة الجميلة ! . . إتجه آرن إلى الفناء . . ربما ليبحث عن الجرذان . . أدخلت مع درانكل الخيمة . . الأمتعة . . كل الأغراض بالمنزل . . أعد درانكل فول بالبيض . . خبز . . شاي . . تناولنا الطعام كله في المطبخ ونحن نشاهد التلفاز في الركن الذي أحبه بالمطبخ . . لا توجد أرواح وأسياد هنا . . إنصرف كل شيء برغم تخيلي لهم بالطبع . . فهم في الفول بالبيض . . يرمقونني من كوب الشاي . . يختبئون في الفرن . . حتى على التلفاز . . لكني لم أخف ولم أنزعج لرؤيتهم . . بعد إنتهائي من طعامي . . ذهبت لرؤية بحيرة بالا . . ترقبت ظهور الوحش بحذر . . لكن لا شيء يتحرك في البحيرة سوي بعض المراكب الصغيرة البطيئة . . معك حق يا درانكل . .

لا وجود للوحوش فهي من نسج خيالنا . . شاهدت ذلك بعض الوقت ثم شعرت بالتعب فجأة . . تركت بحيرة بالا . . ذهبت إلى الفراش . . سمعت درانكل يصفر بأسفل . . شممت رائحة دهان الحائط بالطابق السفلي . . سمعت صوت مكنسة كهربائية . . عرفت أن درانكل ينظف المكان .

رقدت في الفراش . . صوت المكنسة الكهربائية بأذني . . أغمضت عينايّ حتى أري بحيرة بالا في مخيلتي . . أحببت رؤية البحيرة كلها في ذهني بلا وحوش . . أطفو فوق مياهها الدافئة . . فكرت في كيف أري البحيرة . . كل أمواجها . . كل المراكب التي تخترقها في نفس وقت سيرها فيها على الطبيعة بالرغم من بعدي عنها بأميال . . أعلم أن هناك من يفهمون كيف تحدث مثل هذه الأمور . . يمكنهم إخباري بذلك . . لكني لن أفهم كلامهم . . سأراه كالسحر . . لن أستطيع فهم كيف يمكنني رؤية الأشياء على مسافة أميال وأميال بعيدة في نفس وقت حدوثها في الواقع . . هذا التفكير جعلني أشعر بالدوار . . كيف يمكن لشخص ما النظر إلى البحيرة . . يقف بالقرب منها . . يري نفس الذي أراه رغم أنه يبعد عنها مئات الأميال . . تقلبت في الفراش قليلاً . . وضعت وسادة على رأسي . . غطيت بها أذنايّ .

نمت قليلاً . . لا أعتقد أنني نمت جيداً في الخيمة ليلة أمس بعد حلمي هذا . . أيقظني آرن . . أول شيء رأيته عندما إستيقظت . . أذنيه الحمراوتين المتوهجة قليلاً . . ألقيت بنفسي عليه . . مرحنا . . تعاركنا قليلاً . . دخلت لآخذ حماماً . . الحمام نظيف على غير العادة . . إختفت كل القاذورات . . البقع الكبيرة العطنة . . حتى المنشفة . . جافة منعشة ذات رائحة ذكية . . ليست كرائحة الجوارب القديمة . . أذهلني ذلك حقاً . . نظف درانكل كل شيء . . إرتديت ملابس نظيفة . . تخلصت من القديمة في سلة الغسيل . . نزلت إلى الطابق السفلي . . يجلس درانكل على مائدة المطبخ . . النظيف أيضاً . . لا توجد أطباق متسخة في كل مكان . . كل الأسطح . . الأجهزة . . كل شيء يومض . . أسعدني درانكل حقاً .

– ما رأيك يا فتي ؟ أيمكنك تناول طعامك هنا الآن ؟ أشار بيده إلى المطبخ كله . . سعيداً . . فرحاً بنفسه وبما أنجزه . . أخبرته أنه جميل حقاً . . أنه أدخل البهجة إلى المطبخ . . قال درانكل أنه سيأخذ حماماً . . أنه يجب علينا العودة إلى مايند تافرن . . صعد لأعلى . . خرجت من المنزل . . ما إن فتحت الباب حتى جاء آرن محدثاً ضجة شديدة على السلم . . ركض خارج المنزل . . جري في الفناء كالمجنون . . والسماد يتطاير من

أقدامه.. لم ينظف درانكل الفناء كما فعل بالمطبخ.. لكن لا بأس.. سيكون تنظيف الفناء عملاً شاقاً.. سيستغرق ذلك يوماً أو يومين.. ذهبت إلى الحظيرة.. تسلقت تل القش.. رأيت شارلسورث.. نظرت إلى بعينيها الخضراوتين.. مسحت على رأسها برفق.. نظرت في الفتحة الموجودة بالقش.. رأيت القطيطات ككومة من الفراء متداخلة مع بعضها.. نائمة.. حتى صديقي الصغير ذو اللونين الأسود والأبيض الذي عضني من قبل.. أردت حمله ليفعلها ثانية.. لكن عدلت عن ذلك.. فهو نائم.. لم أشأ أن أوقظه.. أن أقطع أحلام أخواته.. نظرت إليها لوهلة.. بينما كانت شارلسورث ترمقني أيضاً.. نزلت من على تل القش.. رأيت آرن بالقرب من باب حظيرة الأبقار.. ينظر بداخلها.. ذهبت إليه.. وقفت بالقرب منه.. نبح قليلاً في الحظيرة.. نظرت بالداخل.. لم أر شيئاً يجعله ينبح.. ربما يري آرن شبح الثور "سنوبول" الذي أطلق عليه الرصاص منذ أعوام مضت عندما أصيب بجنون البقر! بينما كنت أشاهد الحظيرة.. رأيت ظلاً يخرج من ظل آخر.. تحرك هذا الظل.. يبدو كالجرار.. كبيراً للغاية.. سمعته يصدر ضجيجاً.. فكرت أنه ربما سأعايش حلماً آخر.. سأري أسياداً آخرين.. يتحدثون معي بصوت عال.. لم أريد سماع ذلك.. سيكون مرعباً حقاً..

نبح آرن ثانية.. دب الخوف بداخلي.. نادني صوت درانكل.. عرفت أن هذا ظله وظل جراره.. ركضت أنا وآرن في الفناء المليء بالسماد.. درانكل نظيف جداً في جراره.. صعدنا نحن الإثنين فيه أيضاً، أنا في المقدمة بالقرب من درانكل وآرن في الخلف بمفرده.. آرن متسخ جداً بالسماد.. كذلك ملابسي النظيفة.. لكن لم أهتم بذلك.. أدار درانكل المحرك.. يبدو صوته لوهلة كحوار "سنوبول".. لم أخبر درانكل بشبح الثور في الحظيرة.. مددت يدي للخلف.. داعبت آرن.. كنا في أحسن حال.. على سجيتنا.. غني لنا درانكل أغنية أثناء قيادته عائدين للحانة.

أوقف الشاحنة في الطريق السريع.. هناك شجرة محروقة وغربان حولها.. ربما نفس الشجرة.. نفس الغربان التي رأيناها قبل ذلك.. التي علمت بشأن موت فاي وقلب درانكل المحطم.. نظر درانكل إليها مثلما فعل من قبل.. أطفأ المحرك فسمعنا صوت الرياح وأصوات تلك الغربان. شممت رائحة درانكل الذكية.. لم

تكن رائحة الشراب والعرق المعتادة.. بل رائحة جميلة كالزهور..
بالرغم من ذلك، لم يكن مختلفاً كلية.. مازال يتحدث بطريقته المعتادة وكلامه الغير مفهوم ثانية.. مثلما يفعل دائماً.. قال :

– إنصت إلى الغربان.. ماذا تظنها تقول ؟

سؤال آخر كتلك الأسئلة السابقة التي لا إجابات لها.. وإن أجاب هو عليها.. فتكون الإجابة لا علاقة لها بالسؤال .

– إستطرد درانكل قائلاً : حسناً، أياً كانت إجابتك.. فهي خاطئة.. أعرف الذي تقوله الغربان.. بل الطيور جميعها لبعضها البعض.. لم أخبر أحداً بذلك.. لن يفهم أحد كلامي.. على كل حال، فهو سربيني وبين الطيور.. وأكمل حديثه قائلاً :

– إنصت جيداً.. إنها لا تنادي علينا.. بل على الغربان الأخري.. لا تبالي بنا.. لا يهمها أمرنا .

تذكرت الغربان التي تلازمني دائماً في أحلامي.. التي حملتني لأعلى.. حيث قابلت الأسياد.. إبتسمت قليلاً.. بل أردت الضحك عندما تنشق آرن بأنفه المبلل في عنقي.. لكني لم أفعل.. رأيت أن تصرفي هذا سيكون غير لائق وسيحزن درانكل إن ضحكت وهو يتحدث بهذه الطريقة .

– نطلق عليها طيور الموت.. فهي نذير سيء بلونها الأسود.. تتبعها خلسة لفريستها.. حبها للجيفة.. منذ زمن بعيد، تعلمت

تلك الطيور كيف تتبع الجيوش لتحصل على طعام سهل في ساحة القتال.. كما تلازم الساحرات في أعمال السحر.. تعتبر آلهة الحرب.. نذير لبداية معركة دامية.. فهي مهمة جداً بالنسبة لنا . يبدو وكأنها تنتظر موتنا بفارغ الصبر.. ألا تري ذلك ؟ بالرغم من ذلك، فهي تحب الحياة لنفسها فحسب.. شاهدها وهي تلعب .

رأيتها تسير.. تحجل بأجنحتها المطوية خلف ظهورها كالأيادي.. تنقر بمناقيرها الجبل.. تتشاجر مع بعضها البعض.. تلعب.. تطير في فروع الشجرة المحروقة.. ثم تحط أرضاً مرة أخري.. يبدو ريشها دائماً متوهجاً.. شديد السواد.. عيونها السوداء متوهجة أيضاً.. حتى آرن يشاهدها بتركيز شديد.. يبدو وكأنه يريد أن يشاركها فيما تفعل ولا يكون معنا بالسيارة .

– هل تري كيف تقفز وتسير ؟ أعني.. يمكنها الطيران.. لكنها تفضل القفز.. لماذا ؟ لا نحتاج إلى عالم طيور لتحليل سلوكها هذا.. بل إلى طبيب نفسي.. نراها تصنع الأدوات والأسلحة الصغيرة.. يقال أنها لديها وعي عاطفي.. لم نهتم بكيفية التعامل معها.. بل تعاملنا مع الأمر بسطحية وإكتفينا بمعرفة معني إسم هذا الطائر – الغراب – فحسب .

شاهدنا نحن الثلاثة تلك الغربان لوهلة.. تخيلتها تتحدث معي في ذهني.. وأتحدث إليها بدوري.. أعرف الذي تفعله على قمة الجبل.. أعرف الذي تفكر فيه.. فهي أخبرتني بذلك مسبقاً.. أخبرتها في مخيلتي أنني سأراها قريباً.. ما إن هم درانكل ليدير الشاحنة حتى جاء طائران أكثر سواداً من الغربان لينضما إليها.. كانا كالغربان.. لكن أكبر حجماً بكثير.. حطا وسط الغربان.. بدآ في النباح كالكلاب – وكأنما يصيحان فيها – إنتشرت الغربان هنا وهناك.. بعضها وثب بعيداً.. بعضها طار في فروع الشجرة مصدرة أصواتاً عالية .

قال درانكل تاركاً المفتاح من يده :

– والآن هناك أغداف (غربان كبيرة) ومن الغريب أن تراها وسط الغربان بهذه الطريقة.. فهي تعيش منفردة.. في أزواج في أماكن نائية بعيدة.. أماكن أبعد بكثير من هنا في الحقيقة.. أتساءل ما الذي جاء بها إلى هنا وسط الغربان ؟.. فالأغداف والغربان من نفس الفصيلة.. لكن كل مجموعة تختلف عن الأخرى وتتجنب الظهور معها في نفس المكان .

أخبرتني تلك الأغداف مسبقاً بذلك.. لكني لم أستطيع إخبار درانكل.. فهي تتحدث بلغتها التي لا يمكن لأحد فهمها سوايّ..

لذا لم أقل شيئاً . . بل تذكرت كل شيء في ذهني فحسب . . قال درانكل هامساً . . يبدو وكأنه يريد ألا يسمعه الغداف :

– إنه مخادع . . ذلك الغداف . . يمكنه فعل كل شيء وحشي . . يمكنه القتل . . فيكون شرساً . . ممثلاً للدمار على الأرض . . كذلك يمكن أن يصبح ضحية . . أن تقتله بقية الطيور فيكون مقدساً . . هل رأيت الطيور وهي تحاكم إحداها من قبل ؟ . . رأيت ذلك بالفعل . . عشرون طائراً أو أكثر تحيط بطائر واحد منها . . تحدث جلبة شديدة . . تلتف حوله . . تتكالب عليه . . ثم تقتله . إنها وحشية تعمها الفوضي . . رأيتها تقوم بهذه الأمور عدة مرات . . لم نفهم ذلك أبداً .

بدا درانكل حزيناً وهو ينظر إلى الطيور من النافذة . . طارت الأغداف بعيداً . . تجمعت الغربان ثانية حول جذع الشجرة المحروقة . . رأيت الغدافين وهما يضربان بأجنحتهما ببطء إلى قمة الجبل . . ومنه إلى السماء . . أردت أن أخفف عن درانكل شعوره بالحزن . . لكن فشلت في ذلك . . لم يكن السبب في ذلك كلامي ولا كلامه . . بل بسبب الكلام الغريب الذي تقوله الغربان . . الشجرة المحروقة . . العشب . . الصخور . . الحشرات الصغيرة في تلك الصخور وفي ذلك العشب . . كذلك بسبب كلام الجبل نفسه . . ربما هذا هو سبب حزن درانكل . . فكرت آنذاك أنه

ربما سبب حزن العالم كله الذي أخبرني به الفضاء بأعلى في حلمي السابق.. أن أغلب الناس في العالم يتحدثون بطرق معروفة خاصة بهم.. لا يفهمون أبداً طريقة كلام أي شيء آخر من حولهم حتى إن أرادوا ذلك حقاً.. لذا يشعرون بالوحدة.. يعيشون في مكان ما لا يفهمونه أبداً ولا يفهمون ما يدور حولهم.. مما جعل الحزن الشديد يعم العالم.. يجتاح كل الذي ن يعيشون في هذا المكان.. فيصابون بالجنون .

– أيها المسيح.. هل تسمعني ؟

إبتسم درانكل وهو ينظر إلى :

– كلامي غيرمفهوم.. أنا أهذي حقاً.. أعيش وحيداً لفترة طويلة.. أتحدث بهذه الطريقة بالرغم من أني لست ثملاً !! لقد جننت .

إبتسم لي وإبتسمت له بدوري.. أدار محرك الشاحنة.. تحركت.. تنهد آرن سعيداً وهز ذيله على المقعد الخلفي للسيارة.. وإستطرد قائلاً :

– سيتغير كل هذا لاحقاً، بالرغم من كل شيء.. إليس كذلك ؟ هيا بنا إلى الحانة .

إبتعدنا عن الغربان.. عن الشجرة المحروقة.. سلكنا الطريق الأسرع.. بدأنا نغني أغنية "المستنقع ذو الشقشقة".. وصلنا إلى

الحانة عند المقطع الرائع عن الطائر.. توقفنا في ساحة ركن السيارات المليئة بالشاحنات.. شدونا مقطع الطائر.. المقطع الطويل الأخير بصوت عال جداً :

وفي هذا العش.. كان هناك طائر
طائر نادر ! طائر يشقشق
والطائر في العش
والعش على الورقة
والورقة على غصن صغير
والغصن الصغير على غصن كبير
والغصن الكبير على فرع
والفرع على جذع
والجذع على شجرة
والشجرة في حفرة
والحفرة في مستنقع
والمستنقع في الوادي – أووا !
تدفق، تدفق.. أيها المستنقع المشقشق
المستنقع في الوادي – أووا !

شدونا تلك الأغنية حتى تقطعت أنفاسنا.. ضحكنا.. شاركنا آرن ببعض التنهيدات.. كنا سعداء.. درانكل.. آرن.. وأنا.. تذكرت أني تعلمت هذه الأغنية لأول مرة على يد درانكل في صغري.. حين صعدنا فوق تل في أبرجينولوين.. تسلقنا إلى القمة.. نظرنا إلى سادر إيدريس.. رأينا جمع من الناس على نفس التل.. لكن على درجة أدني من درجاته.. يغنون جميعهم.. وقتها سألت درانكل عن أغنيتهم.. علمني كلماتها.. فأحببت غناءها.. أحب المقطع الطويل في نهايتها حيث لا يمكنني أنا ودرانكل إلتقاط أنفاسنا.. تمدد نبرات أصواتنا.. يضحكنا ذلك كثيراً.. كانت العمة فاي تحب تلك الأغنية أيضاً.. إعتادت على غنائها معي.. توقعت أن يحزن درانكل.. لكنه لم يفعل.. فقد أدخل الضحك في السيارة فحسب.. شعرت بالقلق حينئذ وفكرت ملياً.. خرج درانكل من الشاحنة.. ربت على آرن.. أخبرته ألا يقلق.. لن نستغرق وقتاً طويلاً.. يبدو عليه القلق الشديد.. وأذنيه شديدة الإحمرار.. أغلقت باب الشاحنة.. أشرت إليه.. دخلت الحانة مع درانكل.

يعرف درانكل بعضاً من الرجال الذي ن يغنون.. أخبرني أن بعضاً منهم قد توفوا.. البعض الآخر تفرقوا بعيداً.. واحداً أو شخص بعينه قد أصبح قاتلاً، فمنذ بضع سنوات، قتل بعض الرجال في التلال بلا سبب، فقد جن جنونه.. قتلهم فحسب.. فقام بعض أصدقاؤه بقتله.. ربما بعض ممن رأيتهم يشدون.. أتذكر أن درانكل أخبرني بذلك كله ليلة ما عندما كان ثملاً.. لم أنس تلك القصة التي أخبرني بها درانكل قط.. لم تفارق خيالي.. علقت في ذهني مثلما علقت أصوات الأغداف.. قصص الثعالب في أحلامي.. فهي قصة أكبر بكثير من كل تلك القصص السابقة.. رجال يقتلون ويقوم غيرهم بقتلهم.. ثم يشدون معاً الأغاني على التلال.. مجرمين وضحايا في آن واحد !.

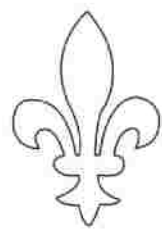

كل الرجال مجتمعين في الحانة.. يدخنون.. يتحدثون بصوت عال.. بدا صوت الأغنية خافتاً.. يطغي عليه أصوات الجالسين.. تلفت بعض الواقفين بالقرب من الباب لينظروا إلينا ونحن ندخل الحانة.. إبتسم البعض لي ولدرانكل.. داعبني

البعض الآخر قائلاً : " صبي جميل " . . تكلموا كثيراً . . تحدثوا إلى درانكل . . والبعض الآخر لم يفعل أي من هذه الأمور . . نظروا إلينا مرة فحسب . . ثم أجالوا النظر بعيداً . . ربما هم أصدقاء آرثر . . فهم يبدون كذلك . . ربما صدقوا أكاذيبه الكبيرة السيئة عن قتل آرن للخراف . . لذا لم يحبونا . . لم يريدوا التحدث إلينا . . لكننا لم نكترث لذلك . . لن يبالي بهم آرن إن علم بالأمر . . ذهب درانكل إلى ركن الحانة متسللاً بين الجمع . . تبعته سائراً بنفس الطريقة حتى أستطيع المرور بين تجمعات الرجال . . شعرت بالموجودين بالحانة يرمقونني بنظرات عميقة . . فنظرت إليهم بدوري . . لم أستطع فعل ذلك عندما قابلت الأسياد - الأرواح - في أحلامي السابقة . . لما كنت في هذا المكان المظلم أسفل كوكب البازلاء - كوكب الأرض - كما لو كنت بعينين كبيرتين جديدتين أكبر من عينايّ في حلمي هذا . . نجحت في النظر بدوري إلى من ينظرون إلي . . تذكرت أن من يرمقوني بنظرات عميقة رأيتهم قبل ذلك في حلم من أحلامي . . نعم . . كل المحيطين بي . . رأيتهم يعيشون في الجبال والتلال . . رأيت كل الرجال ذوي لحيات . . ومن بدونها . . الرجال ذوي قبعات . . ومن بدونها . . بعضهم بلا أصابع عشر أو بلا عدد الأسنان الطبيعي . . واحداً منهم أو اثنين بلا عينين . . رأيت بوبي سيكلوبس بعين واحدة بعدما فقد الأخري

وهو يبني سوراً فانقطع السلك الذي يقيمه حوله.. إصطدمت عينه بالحامل المعدني.. كان ينبغي عليه الذهاب إلى المستشفي.. لكنه لم يفعل.. منذ ذلك الحين، وهو يري بعين واحدة.. نعم.. رأيت كل ذلك في حلمي مسبقاً . رأيت رجلاً هناك على البار مرتدياً قفازاً في إحدي إلي دين وإلي د الأخري تمسك بكأس صغير.. أعرف ذلك الرجل جيداً.. نعم إنه مايكل ذو القفاز.. الرجل الذي رأيته يوماً ما في حلمي.. في حفرة عميقة.. بها سلم يمسك به ويقف على درجة من درجاته.. ينادي مايكل – كان بلا قفاز في ذلك الوقت – على صديقه ليناوله مجرفة.. فجعلها تنزلق من السلم لتقطع أصابع مايكل كلها عدا الإبهام.. رأيته هناك على البار بقفاز في إحدي إلي دين ليخفي أصابعه المقطوعة.. إبتسم لي.. حياني بيده ذات القفاز.. إبتسمت له بدوري.. تنحي جانباً ليتيح لي ولدرانكل فرصة الوصول إلى البار وشراء بعض المشروبات.. طلب درانكل لي كوكا وله بيرة.. غريب أنه لم يطلب خمراً مع البيرة.. فأنا أعرف عاداته جيداً .

لم أحب الكوكا.. دافئة وبلا صودا.. طلب عامل البار من درانكل الذهاب إلى الغرفة الخلفية حيث منضدة القمار .

– أعتقد أن هناك إجتماع منعقد ويتطلب حضورك .

تنهد درانكل.. سمعته فحسب لكني لم أره من هذا الجمع من الناس.. ذهبنا إلى الغرفة الخلفية.. فكرت ملياً.. سنلعب القمار.. لكن هناك مائدة في الناحية الأخري من مائدة القمار عليها بعض الأطعمة.. شطائر.. نقانق ملفوفة.. إلى غير ذلك.. يجلس عليها البعض ويقف حولها الكثير.. الهواء مليء بدخان السجائر الكثيف.. الذي جعل عينايّ تدمع وجعلني أسعل قليلاً.. شعرت بالغرفة هادئة نوعاً ما عندما دخلت أنا ودرانكل.. شعرت بنظرات أخري كثيرة ترمقني.. نظرات عميقة.. كبيرة.. لكنها أصغر من تلك النظرات السابقة، التي بدورها أصغر من النظرات السالفة التي شعرت بها حينما كنا في الجبال العالية.. تلك النظرات الأكبر على الإطلاق.. سمعت صوت آرثر وسط هذا الدخان الرمادي اللون يقول :

– أيها المسيح الطيب، أنظر من جاءنا.. جميل أن تنضم إلينا وتشرفنا بحضورك.. إليس كذلك ؟ ينبغي أن تستغل وقتك جيداً.. أعني، رجل شجاع مثلك ينبغي أن يكون له رعية تحميه.. إليس لديك رعية ؟.. فيمكن لجذع شجرة أن ينفذ في جسدك ويرديك قتيلاً في تلك التلال .

سمعته يضحك.. والبعض يضحك مثله فحسب خوفاً من بطشه دون أن يعرفوا سبباً لضحكهم هذا.. رأيت درانكل يلقي

نظرة غاضبة على مائدة القمار . . تبعت تلك النظرة بعينايّ . . رأيت آرثر جالساً على مقعدين متجاورين في الجانب الآخر من الغرفة يشرب من زجاجة كبيرة بإحدي إليدين وإليد الأخري تحيط برقبة ريانون الجالسة بالقرب منه . . يبدو أنه يمسك برقبتها بقوة بالغة . . فهي غير راضية عن ذلك . . تنظر إلى يديها المسكة بكأس مضموم إلى صدرها . . لذا لم أستطع رؤية عينيها . . بالرغم من ذلك، أشعر بالحرارة في جسدي من الإثارة . . جسمي يرتجف قليلاً لما أنظر إليها . . أستشيط غضباً عندما أري آرثر يضمها إليه . . يشرب آرثر الخمر وينسكب بعضه على ذقنه . . تمنيت وجود آرن معي هنا . . لكنه في الشاحنة بالخارج . . ربما ثائراً جداً . . مهتاجاً للغاية كعادته عندما يكون بمفرده . . أعرف ذلك . . فيمكنني سماعه حتى إن لم أكن معه .

قال درانكل :

– على الأقل، لم يجرؤ أحد على تمزيق خرافي إرباً وإلقاء أشلائها على الشجرة .

شهق الجميع من التعجب والدهشة لجرأته على قول هذا الكلام لآرثر . . نظروا إلى آرثر . . نظرت له بدوري . . رأيته يبعد الزجاجة عن ذقنه . . نظرت إليه ريانون أيضاً مثلما فعل

درانكل . . إتجهت نحو البار . . تبعتني عيناها الداكنتان الواسعتان . . فشعرت بأني أحترق من الإثارة .

– لم يجرؤ أحد على ذلك لأنه لم يتبق لديك أي خراف . . إليس كذلك ؟

واسترسل آرثر بصوت أجش من بعيد ثم إقترب شيئاً فشيئاً وسط جلبة شديدة .

– لأن رجال مكافحة فيروس الحمي القلاعية قتلوها جميعها . . ولم تحرك ساكناً . . فقدت ثوراً من قبل لأنك لا تستطيع السيطرة على حيواناتك . . استسلمت لذلك فحسب . . كما إنك لا تستطيع السيطرة على كلبك هذا . . فقد طارد أوزة برية لعينة من قبل والكل يعلم أنه كلبك اللعين الذي فعل ذلك . . إحضره لي هنا حالاً من الخارج . . هل فهمت ؟ سأتولي أمره سريعاً يا فتي !

تخيلت آرثر يلعب القمار مع آرن الذي يجلس على قدميه الخلفيتين . . يدخن سيجارة في فمه . . يجهز طلق ناري ليقتل آرثر وعينيه متعبة من دخان السجائر . . شعرت بالقلق حينئذ . . سمعت صوتاً لرجل آخر على مائدة القمار . . عرفته سريعاً . . إنه الطبيب البيطري الذي رأيته في مزرعة درانكل مرات قليلة من قبل يكشف على الحيوانات . . كانت فاي حية تمتطي حصانها . . أحببت ذلك الرجل . . فقد روي لي قصصاً عنه عندما كان في

إفريقيا يعمل لدي مزارعين أفارقة . . أحببت تلك الروايات . . والتفكير في الأفيال . . الزراف . . أفراس النهر .

قال درانكل بصوت عال غير عابئاً بأن يسمع كل من بالغرفة :

– لم يكن كلباً يا آرثر، أخبرتك من قبل يا رجل أن أي كلب لا يملك العضلات التي تمكنه من سحب خروف كبير فوق شجرة بهذا الشكل . . ثم أي نوع من الكلاب يمكنها تسلق الأشجار ؟ كما إن الجروح في هذه الخراف لا يتسبب فيها كلب بل نوع من الهررة . . رأيت مثل هذه الحوادث في إفريقيا . . هناك فهد طليق بالخارج كان يرعاه شخص ما بمنزله . . ثم أطلقه في الجبل لما أصبح كبيراً ومخيفاً على أن يبقيه بالمنزل . أنت تنبح في الإتجاه الخاطيء .

ضحك درانكل . . ضحكت بدوري على تعليقه الأخير . . وقف آرثر فجأة . . بجسده الضخم ورأسه تكاد تلمس السقف . . أغلق زجاجته . . ألقاها بعنف على مائدة القمار . . إنتفض الجميع . . نظرت بسرعة إلى ريانون . . رأيت وجهها يبدو عليه القلق كوجه آرن عندما تركته وحده . . نظرت بسرعة إلى وجه درانكل . . رأيت أسنانه ووجنتيه وعينيه تلمع . . أعتقد أن هناك الكثير الذي يلفت الأنظار هذه الليلة . . الهدوء يخيم على المكان . . لا يتحدث أحد بالكلام بل بلغة الأعين فحسب . . التي لا تكذب أبداً .

قال آرثر بصوت كخوار الثور :

– حسناً، سأذهب لأقتلع رأس هذا الكلب اللعين.. لنري ما إن كنت أنا أو أي شخص آخر سيخسر أي ماشية أخري.. لا وجود لفهد ولا غيره.. إنه هذا الكلب اللعين.. أنا متأكد من ذلك .

إتجه نحوي كالثور الذي يسير على قدميه الخلفيتين.. يمهد له الجميع الطريق نحوي.. نظرت إليه.. كتفيه كعارضين خشبيين.. لحيته كاللهب.. يتقدم نحوي كالجبل.. فجأة، نظر إلى شذراً.. تذكرت كل أحلامي السابقة.. ومضت بعقلي كالبرق.. شبح فاي.. الحزن.. الخطر المحدق بالعالم حولي.. عرفت ما يجب على فعله.. القضاء على الحزن والخوف بداخلي مثلما أخبرني الفضاء من حولي في حلمي السابق.. قفزت على مائدة القمار لأصبح بكبر حجم آرثر الذي نظر إلى.. لم أخف.. في الحقيقة، إرتعدت.. لم يبد وجه آرثر كبيراً وأنا على المائدة.. شعرت بيدي تتناول كأس الكوكا.. ترفعه لأعلى.. في نفس الوقت، جالت برأسي كل الأحداث السابقة التي مرت بي.. تخيلت القطيط الذي عضني.. آرن.. الصقور.. العمة فاي.. رفعت الكأس فوق رأسي.. فوق رأس آرثر أيضاً.. شعرت بالدوار آنذاك .

كنت سأحطم رأس آرثر بهذا الكأس مثلما كادت زجاجته أن تحطم مائدة القمار.. كدت أهشم رأسه الغبي بكأسي الفظيع هذا.. لكني ألهيت فجأة بأمور جالت برأسي.. صرفت إنتباهي عن الذي أردت فعله.. لما قفزت لأعلى عند العوارض الخشبية بالسقف.. مكاناً لم أره من قبل.. حيث شممت روائح التدخين الفظيعة المنبعثة منه لأعوام.. رأيت شبكة عنكبوت بعينايّ.. بلا عنكبوت بداخلها.. بل بعض الحشرات الطائرة الميتة.. واحدة منها لازالت حية تضرب بأرجلها.. تأز بأجنحتها.. فكرت حينئذ كم العناكب محظوظة لأنها تعيش بمساكنها.. ويأتيها الطعام بلا جهد.. هذا التفكير الذي إستغرق لحظة واحدة – كنت أراها أعواماً – أنساني لم أقف على مائدة القمار؟!.. ثم فجأة، أدركت أين أنا.. نظرت لأسفل.. رأيت الوجوه تحدق بيّ.. وجه آرثر شديد الإحمرار ينظر إلى.. سحبني آرثر بسرعة من قدمايّ.. جذبهما إلى صدره.. فتراجعت للخلف بسرعة.. سمعت صوت مدوي برأسي كالقنبلة التي إنفجرت محدثة ضجيج هائل.. لم أر شيئاً بعدها.. سقطت مغشياً على.

غفوت لوهلة آنذاك.. رأيت حلماً.. عن لعب القمار.. رأسي هي الكرة صغيرة الحجم تدخل بسهولة في الفتحات.. أقف

هنـــاك حـــول مائـــدة القمـــار برأســـي – بجمهـــا الطبيعي – أشاهد رأسي الصغيرة.. تتدحرج هنا وهناك على المائدة.. ألعب القمار مع آرثر.. لم أحب ذلك أبداً.. ذهبت لأهشم الكرات ورأسي الأخري الصغيرة.. لكن الأخيرة ترفض أن تترك المائدة.. تصرخ.. ينظر آرثر إلى غاضباً .

حينما خرجت من هذا الحلم، كنت في شاحنة درانكل.. في المقعد الخلفي.. آرن واقفاً أمامي.. ناظراً إلى وجهي كما لو كان سيلعقه.. دفعته بعيداً قليلاً.. لم أحب أن يلعق وجهي بلسانه الذي ينظف به مؤخرته.. لكني سعيد لرؤيته.. رأسي تؤلمني.. خاصة الجزء السفلي منها.. به قرحة.. لمسته.. شعرت بوجود تورم.. نبح آرن.. سند ظهره على باب الشاحنة وهو ينظر إلى في قلق شديد.. قلت في ذهني : آرثر اللعين.. عضه يا آرن.. أقضم وجهه الناري الغبي.. إسحبه إلى داخل الشجرة.. أتركه هناك بأعلى ليموت.. هذا اللعين.. شعرت بوجه آخر معي في

الشاحنة آنذاك . . ينظر إلى نظرات حادة . . لكنها ليست بنفس حدة النظرات التي وجهت إلى في الحانة . . لم أتبين من صاحب تلك النظرات في البداية بعدما أفقت من الإغماءة . . أدركت بعد ذلك أنه درانكل . . رأيته في المقعد الأمامي . . يلتفت خلفه ليراني . . مد يده ليلمس وجهي .

– هل أنت بخير يا فتي ؟

أومأت برأسي إيماءة آلمتها للغاية . . هذا يعني أنني لست على ما يرام . . أخفيت ذلك عن درانكل . . لا أريده أن يعرف أنني لست بخير .

– يا لك من فتي طيب شجاع .

إبتسم درانكل لوهلة . . أردت أن يتحرك بالشاحنة كي لا أشعر بألم القرح برأسي .

– الجميع يهتفون بإسمك هناك بالحانة . . هل تعلم ذلك ؟ كدنا أن نهلل لك إن لم يكن آرثر ثائراً كالمجنون اللعين . . لكنهم جميعاً يشهدون لك بالشجاعة . . هل تعلم كم أنا فخور بك يا فتي ؟ !

إحدي تلك الأسئلة ثانية . . دائماً هناك أسئلة يطرحها الكبار ولا يريدون إجابات عليها . . لما يفعلون ذلك ؟ . . فهم يجيبون عن الأسئلة التي يطرحونها بأنفسهم .

– نعم.. أنا فخور جداً بك يا فتي.. أتمني أن تكون ابني الذي لم أنجبه من فاي .

لا.. لا يمكنك إنجاب طفل من شخص ميت.. أردت إخبار درانكل عن فاي ومدي سعادتها الآن في هذا المكان بأعلى.. فوق كوكب البازلاء – كوكب الأرض الذي أراه صغيراً كحبة البازلاء حينما أصعد لأعلى في أحلامي – لكن لم أعرف كيف أخبره بذلك.. سألته متي سنعود إلى المنزل.. أجابني قريباً جداً ولكن ينبغي عليه الذهاب لتهدئة آرثر أولاً.. سألني مرة أخري إن كنت بخير.. أومأت له ثانية بالإيجاب.. واستمر الألم برأسي.. قال درانكل أنه لن يغيب.. غادر الشاحنة.. عاد إلى الحانة.. أصبحت بمفردي مع آرن ثانية.. أنا وكلبي معاً فحسب والعالم خارج الشاحنة.. أفضل وقت لي على الإطلاق.. حقاً.

جلست على المقعد.. أحطت آرن بذراعايّ.. أصدر صوتاً كالأنين.. رقد فوق قدمايّ.. شعرت بثقله.. بعظام ظهره.. بنبضات قلبه البطيئة.. نظرت لأذنيه شديدة الإحمرار في ضوء القمر.. داعبته.. نظرت من النافذة.. رأيت القمر يعكس مناظر عدة على نوافذ السيارات المركونة.. الشاحنات.. الجرارات.. نظرت إلى الحانة المضاءة.. سمعت ضوضاء خافته تخرج منها.. تنفذ من خلال الطوب.. النوافذ.. أدركت أنها

عالية جداً لمن هم بالداخل.. سمعت محرك الشاحنة يتك باستمرار.. شعرت بآرن يحاول تدفئة جسمه بالقرب من قدمايّ.. مددت يدي لأداعبه.. نظرت خارج الشاحنة.. لم أر شيئاً في العالم سوي الحانة والجبل خلفها من شدة قلقي على درانكل.. وضوء القمر يلقي بظلاهما على الأرض.. فيبدو ظل الجبل كبيراً.. علمت أن الجبل نفسه كبير جداً خلف الحانة.. وإن كنت لا أستطيع رؤيته بالفعل بسبب الظلمة المحيطة بي.. رأيت خيالاً يجري مسرعاً من بعض الأشجار إلى البعض الآخر صوب ساحة ركن السيارات.. عرفت أنه أرنب وحشي ذو أذنان طويلتان.. أرجل طويلة.. يجري مسرعاً بين السيارات كالبرق ثم إختفي.. أحببت ذلك جداً.. شعرت بالسعادة لرؤيتي هذا الأرنب الوحشي.. صديقي الذي أراه يهبط من السماء.. فكيف لنا أن نحيا جميعاً على كوكب البازلاء الصغير بدونك ؟

رأيت الحانة بابها يفتح.. يخرج منها ضوء وضجيج لفترة قصيرة.. كأنهما مندفعان إندفاع خاطف.. شعرت بضربات قلبي سريعة.. عنيفة.. خشية أن يكون آرثر.. لكن سرعان ما هدأ قلبي في مكانه.. لاحظت أن هذا الشخص الذي يخرج من الحانة صغير الحجم جداً.. لا يمكن أن يكون آرثر.. أمعنت النظر فيه.. في شعره.. هيئته.. طريقة سيره.. لا أصدق

نفسي.. إنها ريانون.. إختلج قلبي.. خفق ثانية بسرعة.. شعرت بالحرارة تسري في جسدي من الإثارة.. جسدي ساخناً كالحساء الذي قدمته لي ريانون صباح أمس بيديها المليئتين بالأساور وعينيها الداكنتين المشعتين كالشمس التي ترسل أشعتها على العشب المندي .

جالت ريانون بنظرها يميناً ويساراً في ساحة ركن السيارات.. نظرت أمامها مباشرة.. فرأت الشاحنة التي أجلس فيها.. تحركت نحوها تاركة خلفها أنوار الحانة إلى الظلام.. ثم إلى ضوء القمر.. أشارت إلى مبتسمة.. رأيت أسنانها البيضاء في الظلام.. شعرت بحرارة أشد تسري بداخلي.. حينما فتحت باب الشاحنة.. جلست في المقعد الأمامي برائحتها الذكية.. شعرها الجميل.. أساورها الرنانة.. شعرت بأني أزداد حرارة حتى كدت أحترق من الإثارة.. شعرت وكأن البرق قد صعقني مثلما فعل بشجرة الغربان.. لم أستطع فعل شيء سوي النظر إليها.. شم رائحتها.. جلست مبتسمة إبتسامة عريضة.. نصفها في الظل والآخر منير بضوء القمر.. نظرت إليها.. إبتلعت ريقي.. لكن لا شيء يخمد نيران جسدي المشتعلة .

– هل رأسك بخير ؟.. تلقيت ضربة مؤلمة رهيبة كالجحيم.

أخبرتها بصوت مضطرب – مختلف عن صوتي الطبيعي – أن رأسي على ما يرام.. رفع آرن رأسه لينظر إليها لم يزوم.. مدت ريانون يدها ذات السوار بين المقاعد.. داعبت آرن خلف أذنه.. أغمض عينيه.. رقد ثانية على قدماي.. جعلها تداعبه لوهلة.. أعادت ريانون يدها للأمام ثانية.. قالت :

– قمت بعمل عظيم هناك بالحانة .

لم أعرف معني ذلك.. أن تضرب رأسك بعنف على مائدة القمار وتسقط مغشياً عليك ليس عملاً عظيماً .

– لا يفكر آرثر فيما يفعله.. جعلته يبدو كالأبله حقاً.. كان هذا عظيماً .

عادت يدها تمتد بين المقاعد.. تقترب من وجهي.. شعرت أنني سأنفجر كالقنبلة إن لمست يدها وجهي.. حينما حدث ذلك، إزددت حرارة كالحساء.. لمست ريانون وجهي بيدها للحظة.. ثم أعادت يدها مرة أخري.. لكن مازلت أشعر بيدها عليه.. قالت :

– على العودة إلى الحانة.. سيبحث عني آرثر.. فهو دائم الشك في إن غبت عن عينه لحظة.. أراك غداً.. سأحضر لك معي بعض الطعام.. فصبي شديد وشجاع مثلك ينبغي أن يتغذي جيداً ليواجه مصاعب هذا العالم.. أفهمت ؟

إبتسمت إبتسامة أعرض.. إرتسمت عيناها أكثر.. فجأة شعرت بدفء جزء من بطني.. جزء مشع دافيء كالنار في الثلج.. أجمل مكان في العالم.. أدركت حينئذ أن ريانون لمست هذا الجزء لتوها.. وكأنما لكزتني بلطف شديد بإصبعها.. جعلني هذا الجزء من بطني الذي لمسته ريانون أشعر بأني أهم شخص في العالم كله.. تساءلت ماذا سيحدث إن لمستني مجدداً.. قالت:

- إذاً.. أراك غداً..

خرجت من الشاحنة حيث تركت فراغاً كبيراً.. لوحت بيدها.. هزت أصابعها لتودعني.. رأيتها تسير في ساحة ركن السيارات.. تتحرك صوب الحانة.. رأيت ظلها في ضوء القمر.. شعرت بوجهي وبطني اللذين لمستهما دافئين.. مشعين.. شعرت بمؤخرة رأسي تؤلمني بشدة.. تعجبت كيف يكون ذلك.. هناك شعور مختلف تماماً للمس شخصان لي.. ريانون وآرثر.. تعجبت أيضاً لم يعيش الناس مع بعضهم مرغمين على ذلك.. في حين أنهم يكرهون بعضهم البعض كريانون وآرثر.. يكرهان كلاً منهما الآخر.. لما لا يبتعدان عن بعضهما إن كانا يكرهان بعضهما البعض؟ لم يعتقدان أن الحياة مع

بعضهما أفضل من الإنفصال ؟ سألت آرن عن ذلك.. لم يعرف الإجابة.. في الحقيقة، كان يغط في نوم عميق.. لم يسمعني .

أسندت ظهري على المقعد.. آرن يرقد على كالغطاء.. أجزاء من جسدي تومض.. دافئة.. ساخنة.. جزءاً آخر يؤلمني بشدة.. شعرت بالجبال العالية تضمني إليها.. فكرت في فاي.. الأسياد.. الذي ن يرون كل من على الكوكب.. الذي يفعلونه ببعضهم البعض.. أعتقد أنهم يعرفون سبب العراك المستمر بين الناس.. سيخبروني في أحلامي.. فكرت في أمي وزوج أمي.. تمنيت أن تكون سعيدة الآن.. لكن لا أعتقد أنها ستكون سعيدة أبداً .

عاد درانكل إلى الشاحنة بعد خروج ريانون منها بفترة وجيزة.. كنت نائماً آنذاك.. تخيلت ريانون.. ثم آرثر.. ثم ريانون ثانية.. فريانون مرة أخري.. لم يسيطر أحد على تفكيري سواها.. شعرت أثناء نومي أن الشاحنة بدأت تتحرك.. لم أشم رائحة الشراب المنبعثة من درانكل.. هذا غريب.. أعرفه جيداً.. تعجبت من ذلك قبل أن أدخل في نوم عميق.. لازالت أجزاء من جسدي مشعة.. دافئة.. في هذا الفراغ الجميل.. حقاً .

حلمت هذا المساء أني عشت تحت الأرض في حفرة كالأرنب أو الغرير أو الثعلب.. كنت سعيداً بوجودي بأسفل.. في هذه الحفرة.. المكان مريح.. الجو دافئ.. كنت في أمان في تربتي هذه.. متقوقعاً.. حذراً جداً.. رأيت أشعة الشمس تشرق بأعلى.. لم تكن بعيدة.. عشت في بطن الجبل – بداخله – في حلمي هذا .

سمعت صوتاً يناديني.. طفت لأعلى نحو هذا البصيص من أشعة الشمس.. دخلت فيه.. إخترقته.. لازلت أطفو خارج الجبل.. أعلو شيئاً فشيئاً.. حتى وصلت إلى أشعة الشمس التي تعانق السماء الزرقاء المشرقة.. لازال الصوت يناديني.. اعتقدت أنه صوت فاي.. لم أتأكد من ذلك.. فحينما نظرت لأسفل.. رأيت الجبل صغيراً جداً.. لا توجد غربان.. ولا صقور.. ولا طيور لتحملني من ذراعايّ وقدمايّ كي لا أقع.. ملئت رعباً.. وقعت.. وهنا أفقت من نومي.. كان هذا نوعاً من الأحلام التي لم أعرف ما الذي أفعله بها.. ربما من المفترض ألا أقوم بشيء فيها على كل حال .

يبدو أني عايشت أحلاماً كثيرة الصيف الماضي.. كل مرة أستسلم للنوم فيها.. أري حلماً ما.. يستحوذ على تفكيري.. على كياني كله.

حينما إستيقظت.. رأيت بجيرة بالا على شاشة الحاسب على المكتب بالقرب من النافذة.. لا أثر لأي وحش.. لم أر آرن.. نهضت من السرير عارياً نحو المكتب.. قرأت ملحوظة تركها لي درانكل.. أنه ذهب إلى المدينة لشراء بعض المستلزمات لتنظيف الفناء.. عجباً! درانكل يهتم بنظافة المكان إلى هذه الدرجة!.. على غير العادة.. أعرفه جيداً.

نظرت من النافذة على الفناء المليء بالسماد.. رأيت آرن هناك.. ما إن رآني حتى هز ذيله – كأنه يناديني – أخبرته في عقلي أني سأستعد وسأنزل له في الفناء.. جري آرن خلف حظيرة الأبقار.. ربما ليطارد الفئران كما يحب أن يفعل دائماً.. لا أمانع أن يفعل ذلك فآرن كغيره من الكلاب حتى إن إختلفت طباعه.. لكن لا أحب أن يمسك بالفئران.. يسحقها.. يقتلها.. فلا ينبغي أن نعذب ونؤلم الفئران.. الحيوانات بصفة عامة.

شاهدت بجيرة بالا لدقائق معدودة.. لم يظهر الوحش أبداً.. ذهبت لآخذ حماماً في الحمام النظيف.. تعجبت من نظافته.. لم

أصدق هذا أبداً . . عندما إنتهيت من حمامي . . شعرت أني نظيف حقاً . . أنظف مما شعرت به عندما دخلت الحمام أول مرة في منزل درانكل بعد موت فاي . . إرتديت ثيابي . . نزلت للطابق السفلي حيث المطبخ النظيف أيضاً . . أعددت شطائر المربي . . أكلتها . . شربت بعض اللبن . . أخذت تفاحة للخارج . . يا له من يوم جميل مشرق . . حتى مع قذارة الفناء . . السماء شديدة الزرقة . . خاليـة من السحب . . الشمس ساخنة حارقة كسخونة أجزاء جسدي التي لمستها ريانون أمس . . لكنها أكبر بكثير وأبعد منها أيضاً . . أغمضت عينايّ . . أدرت وجهي نحو الشمس لتزيده نضارة بعد الإستحمام . . شعرت أن الشمس تبتسم لي وإبتسمت لها بدوري . . ذهبت إلى الفناء . . صعدت على تل القش . . خرجت شارلسورث لرؤيتي . . يبدو أنها أعجبت بنظافتي . . داعبتها بيد . . أكلت التفاحة باليد الأخرى . . أكلتها عن آخرها . . ألقيت المتبقي منها – منتصفها – بعيداً من فوق التل إلى بركة الطين بأسفل . . نظرت في الفتحة بالقش . . رأيت القطيطات كلها نائمة عدا صديقي الصغير ذو اللونين الأبيض والأسود . . أدخلت يدي في الفتحة . . حملته . . كان خفيفاً جداً كما لو كنت أحمل هواء مليء بالفراء . . لم يعضني هذه المرة . . لكن مخالبه غرست في جلدي قليلاً

فحسب.. رفعته لأعلى أمام عينايّ كي أستطيع النظر إلى وجهه.. إختفت المادة الصمغية من عينيه التي ظهرت أجزاء منها.. كانت عيناه خضراوتين.. قلت للقطيط في عقلي أني سعيد أنه قد ولد في هذا العالم.. أخبرته أيضاً أن وجوده يجعلني أفضل وأقوي بعض الشيء.. أغمض القطيط عينيه تماماً.. لم تعد مخالبه تغرس في جلدي.. إستسلم للنوم.. أعدته إلى فتحة القش مع إخوته.. رقد نائماً.. وذيله يهتز قليلاً.. نزلت شارلسورث في الفتحة مع أطفالها.. إلتفت لتطمئن عليهم.. سمعت آرن ينبح.. رأيته يركض مسرعاً نحو البوابة.. هناك شاحنة بعيدة قليلاً تصعد الجبل.. تتجه نحو المزرعة.

شاحنة برتقالية اللون كتلك التي يقودها آرثر.. بجانب الأخري السوداء.. أتخيل آرثر يصعد الجبل المؤدي إلى الفناء حيث لا أحد غيري أنا وآرن.. درانكل غير موجود.. ماذا سنفعل.. كيف سنواجهه وحدنا بدون درانكل ؟!

ناديت على آرن.. لكن لم يسمعني بسبب ضجيج الشاحنة.. جلست فوق كومة من القش.. أترقب ما سيحدث.. توقف آرن عن النباح.. هز ذيله قليلاً.. يا لها من حيرة.. لا يهز آرن ذيله لآرثر.. تري من القادم ؟ قلبي يخفق.. وقفت الشاحنة أمام البوابة.. إنفتح الباب.. خرجت ريانون من الشاحنة.. خفق

قلبي آنذاك أكثر من ذي قبل.. داعبت آرن.. هز ذيله أكثر وأسرع.. قادت الشاحنة في الفناء.. ركنتها أسفل تل القش.. خرجت منها ثانية.. ذهبت لتغلق البوابة.. تبعها آرن وهو يهز ذيله.. بعدما أغلقت البوابة.. إستدارت.. نزلت من على القش.. وقفت في الفناء على بقعة نظيفة خالية من السماد.. قلبي يضرب بعنف.. يختلج بداخلي من الإثارة.

حينما إبتسمت لي.. شعرت بحرارة شديدة تسري في جسدي.. إبتسمت مثلما فعلت الشمس الدافئة من قبل.. قالت:

- كدت أن أبرح خالك ضرباً بالمدينة لما علمت منه أنه تركك هناوحدك.. لذا جئت لأعد لك بعض الطعام للعشاء.. ألم أخبرك بأني سآتي لزيارتك؟

كانت إحدي تلك الأسئلة التي ليس لها إجابة.. أومأت فحسب.. إبتسمت وهي تنظر إلي.. تتفرسني جيداً.. عيناي مثبتتين على وجهها تماماً.. لا تغمضان.. لا تلتفتان عنها.. شكلها جميل جداً.. رائحتها ذكية.. ينظر آرن إلي.. نظرت له بدوري.. يهز ذيله لكن يبدو عليه القلق.. خمدت الحرارة بجسدي كالطعام الساخن في أمسية باردة.. أحضرت ريانون شنطة من الشاحنة.. سرنا معاً في الفناء المليء

بالسماد نحو المنزل.. تتحدث إلى بكلمات رقيقة كصوت الماء على الحجارة.. كصوت الرياح وهي تهب على أوراق الشجر.. كلماتها كالأغاني الجميلة.. لم أفهم معانيها.. أسرتي عيناها.. شعرها.. رائحة بشرتها.. إنشغلت بالحرارة في جسدي.. بقلبي الذي يختلج ويضرب بعنف بداخلي.. إنشغلت بها بكل كياني وجوارحي.

دخلنا المطبخ.. لازالت تفوح منه رائحة الشطائر التي أعددتها في الإفطار.. جلست على الكرسي الكبير القديم بالقرب من المدفأة.. رقد آرن بالقرب مني.. شاهدنا كلانا ريانون وهي تخرج أشياء من حقيبتها.. ترتدي ريانون حذاء عالي الرقبة.. جينز مثلي أزرق بلون السماء.. قميص أصفر بلون الشمس.. كان الضوء من النافذة خلفها يظلل أجزاء منها.. فتسري الحرارة أكثر في جسدي كالنار المشتعلة.. شعرها مسدل على ظهرها.. حول وجهها.. داكن اللون مع خصلات فاتحة مشرقة كإشراقة أجزاء الجبل التي تومض على قمته عندما ترسل الشمس أحياناً أشعتها عليه.. خلعت خواتمها من أصابعها.. أساورها من معصميها.. أخرجت من حقيبتها أرنباً مذبوحاً لتوه.. لازال يتخبط بيديها.. رأيت الحبال التي إستخدمتها في صيده..

تخيلتها وهي تجهز عليه وتذبحه.. والدماء تلطخ المكان هناك.. فإنفطر قلبي.

- هل تحب يخني الأرانب ؟ أومأت برأسي إيجاباً.

- إصصدته مع الكلب في الصباح.

أومأت ثانية.. أعتقد أن رأسي أخذت تومىء باستمرار من جمال ريانون الفتان وسحرها الخلاب الذي أسرني وسلبني عقلي وتفكيري.. أحب رؤية الأرانب تجري هنا وهناك.. فوق وتحت التلال والحقول.. لكن لا أمانع أن يذبح أحدها.. يقطع.. يؤكل بهذه الطريقة.. فالأرنب كسائر الأرانب لم يحبس في قفص.. لم يعذب قبل ذبحه.. بل يجري كغيره من الأرانب.. إصطاده كلب ريانون.. إنقض عليه.. فقتله مثلما تفعل سائر الكلاب.. مثلما يفعل آرن بالفئران.. الفارق الوحيد أننا لا نأكل تلك الفئران.. إنه شيء مقزز للغاية.. وإن لم يقطع ويؤكل هذا الأرنب فسيموت لأي سبب آخر.. وهذا شيء فظيع للغاية بالنسبة للأرانب.. بالنسبة لأي حيوان على هذا الكوكب.

أحضرت ريانون سكينين.. أحدهما كبير والآخر صغير من إحدي الأدراج.. مددت الأرنب على ظهره.. قدماه للخارج.. قطعت ذيله.. ألقته بعيداً حيث بدا كحيوان صغير ضئيل.. ككره صغيرة من الفراء الأبيض اللون.

– تحتاج أن تتغذي جيداً إن إعتدت على مواجهة آرثر . . إليس كذلك ؟

-٩-

نظرت إلى مبتسمة . . إبتسمت لها بدوري . . قطعت قدمي الأرنب الأماميتين . . إخترقت الفراء . . شقت رقبته بالسكين فتدلت قليلاً . . لم تخرج دماء كثيرة منه . . ربما لأنه قد ذبح وذرف كثير من الدماء من قبل . . يجب عليك أن تفعل ذلك . . أن تعيد ذبح الحيوان الذي تود أكله بعدما تقتله بلحظات . . هناك بالطبع بعض الدماء . . إندفعت من جسمه على يدي ريانون . . على ذراعها . . نظرت إليها . . بشرتها مغطاة بالكامل بحمرة الدماء . . لم تكن كذلك من قبل . . كانت صفراء بلون الرحيق الذي تجمعه النحل في شنط صغيرة بأرجلها في الأيام المشرقة – كذلك اليوم الذي جاءتني فيه ريانون .

– لقد أشاد الجميع بشجاعتك عندما واجهت آرثر بالحانة . . بالطبع أخذ يصيح . . يهدد . . يتوعه أنه سيلقنك درساً . . لكننا جميعاً تجاهلناه . . ضربك بعنف، إليس كذلك ؟ رجل كبير مثله يفعل ذلك بصبي ! بحق السماء . . إنه جبان ! شكراً للرب . . خرج في جولة منذ البارحة عند منتصف الليل تقريباً ولم أره منذ ذلك الحين .

إبتسمت لي مرة أخري.. أمسكت رأس الأرنب بيد.. إنتزعت فراءه اللزج باليد الأخري.. عندما إنتهت من ذلك.. رأيت لحم الأرنب كله لامع.. بنفسجي اللون.. منتفخ.. نزعت ريانون الفراء لأسفل حتى قدميه الخلفيتين.. قطعت أقدامه بالسكين الصغير.. أزاحت الفراء لأسفل أكثر.. حتى إنتزعته بالكامل.. بدت ريانون وكأنها ترتدي قفازات حمراء حتى مرفقيها.. حمراء مائلة للسواد في أجزاء من يديها.. داكنة جداً عندما فتحت بطن الأرنب.. أدخلت أصابعها.. إنتزعت كل الأحشاء.. الأمعاء.. جميعها مخاطية.. كريهة الرائحة.

– ذلك المعتوه الأخرق.. أقنع نفسه أن كلبك هو الذي قتل خرافه.. هذا الرجل لا يستمع إلى صوت العقل إن أقنع نفسه بفكرة ما.. ولا أحد يمكنه إقناعه بعكسها.

وضعت الفراء و الذي ل في كيس نظيف.. ربطته.. ألقته في سلة المهملات.. ذهبت بلوح التقطيع إلى الباب الخلفي.. ألقت كل الأحشاء المبتلة المخاطية الموجودة عليه في الفناء.. رآها آرن.. فجري إلى الفناء حيث الطعام الشهي – الأحشاء – نظرت إلى الأرنب بلا فراء.. لا شيء يدل على إنه أرنب سوي رأسه.. لكن قطعتها ريانون أيضاً.. ألقتها في سلة المهملات.. فكرت فيما قد يبدو عليه لحم ريانون من الداخل.. لامع بنفسجي

الـون كلحـم الأرنـب ؟ . . فكـرت إن كانـت لـديها كـل هـذه الأحشـاء . . الأمعـاء كالأرنب . . هـل لديّ أنا أيضـاً مثل هـذه الأشـياء ؟ بـالطبع . . لـدينا جميعـاً هـذه الأجـزاء بـداخل أجسامنا . . كل كائن حي لديه تلك الأجزاء في جسمه ليحيا . . فكرت أن النحل يحيا بدونها . . إذاً تلك الأحشاء المبتلة اللزجة ليست أساس الحياة للكائنات الحية . . بل العقل والروح . . إبداع خالق السماء والأرض . . الجبال والأنهار .

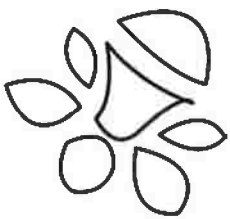

تغطي حمرة الدماء ذراعي ريانون إلى الحد الذي يصعب على رؤيـة أي جـزء منـهما . . مازلـت أشـعر بـالحرارة في جسـدي . . توقفت ضـربات قلبي العنيفـة . . عـادت مرة أخـري لوهلة عندما نظرت إلى ذراعي ريانون . . تخيلتها صقر جارح أو ثعلب أو قاقم أوروبي . . فجميعها تقطع الأرانب أيضاً . . لكن بلا سـكاكين . . بأنيابهـا الفتاكة ومخالبها الحـادة . . قالـت ريـانون وهـي تنظـر إلى الأرنب الميت وكأنها تحدثه :

– يزداد الأمر سوءاً كل يوم مع آرثر . .

تقطع الأرنب بالسكين الكبير . . تحوله إلى قطع من اللحم . .
عاد آرن إلى المطبخ . . بجمرة الأحشاء حول فمه . . على أنفه . .
رقد بالقرب من المدفأة . . لعق كفوفه الملطخة قليلاً بالحمرة أيضاً .

– إنه رجل سيىء . . مخلوق شرير غير سوي . .

أدركت ذلك بعد زواجي منه بفترة قليلة . . بعد فوات الأوان . .
تحركت إبنتي أنجراد في أحشائي .

نظرت إلى بعينين محدقتين للغاية كإنما قلت شيئاً فاجأها . .
لكني لم أتفوه بكلمة .

إستطردت قائلة :

– أرسلت أنجراد إلى منزل أختي على بحر سوان حيث الأمان الذي أنشده لها . . يظن آرثر أنها ذهبت لتقيم مع بعض أصدقائها في إنجلترا . . منذ ذلك الحين، لم يجد آرثر أحداً ليوجه له السباب .

إتجهت إلى الحوض . . غسلت يديها . . ذراعيها جيداً بالماء لتزيل كل آثار الأرنب . . إختفت الدماء . . إختفي اللون الأحمر من بشرتها . . عاد لونها الطبيعي ثانية . . أحضرت قدر كبير من فوق المدفأة . . فوق آرن الذي يلعق كفوفه . . قطعت الأرنب كله قطعاً صغيرة على لوح التقطيع . . وضعتها في القدر حيث وضعت بعض الماء . . ثم رفعت القدر على النار . . غسلت كل آثار الدماء من المطبخ كله أيضاً . . أخرجت من حقيبتها بعض

الجزر.. البطاطس.. الكراث.. البصل.. اللفت.. نباتات خضراء.. قطعت النباتات بالسكين الصغير.. وضعتها مع قطع الأرنب في القدر.. أخرجت بعض الأوراق الخضراء من حقيبتها.. قطعتها.. أضافتها إلى الخليط.. فتحت زجاجة خمر أحمر اللون.. سكبت بعضاً منه أيضاً.. ثم أضافت الملح والفلفل.. غطت القدر.. وقفت للحظة.. نظرت إلى.. ثم إلتقطت ملعقة خشبية.. رفعت الغطاء.. مزجت الخليط جيداً.

- بحق السماء.. نقترف أخطاءً في حياتنا بعضها أخطاء فادحة.. لكن لا توجد فرصة لتصحيحها.. سخطت على الدنيا.. فدفعت ثمن ذنبي هذا.. حياتي مع آرثر رغماً عني.

تتحدث ريانون إلى وهي تنظر إلى قطع الأرنب والنباتات في القدر.. كأنها تخاطبها.. غطت القدر ثانية.. إلتفتت مبتسمة لي مرة أخري.. عقدت يديها.. ضمتهما إلى بطنها.. أحببت إبتسامتها.. يديها المعقودتين.. المضمومتين إلى بطنها.. شعرها.. بشرتها الخالية من الحمرة.. طريقتها وهي تغمض عينيها.. قالت:

- سيكون الطعام جاهزاً بعد ساعتين.. ماذا سنفعل حتى ذلك الوقت؟!

فكرت فيما يمكنني فعله أنا وريانون فحسب حتى يصبح إلىخني جاهزاً للأكل.. شيء لم أفعله من قبل في حياتي.. بل في أحلامي.. في مخيلتي فحسب.. أن أمارس الحب معها.. ما إن فكرت في ذلك حتى إنتشيت.. شعرت بوجهي يتلون بالحمرة كحمرة الدماء في يدي وذراعي ريانون أثناء ذبحها للأرنب من قبل.. إبتسمت ثانية إبتسامة كبيرة.. إزداد وجهي حمرة.. إنتشيت أكثر ولكي أطرح هذا التفكير جانباً فكرت في القطيط ذو اللونين الأبيض والأسود الذي عضني من قبل.. لم أعن التفكير فيه تحديداً.. بل تطرق إلى ذهني فحسب.

أخبرت ريانون عن ذلك القطيط.. طلبت مني أن أريها إياه.. وافقت.. نهضت من على الكرسي.. نظر لي آرن مرة فحسب ثم عاد لنومه ثانية بالقرب من المدفأة.

أخذت ريانون زجاجة الخمر معها.. خرجنا في الفناء المليء بالسماد.. كانت السماء صافية مشرقة.. عبرنا الفناء المتسخ.. دخلنا الحظيرة.. صعدنا تل القش.. جلسنا.. نظرنا في الفتحة بالقش.. رأينا شارلسورث ترقد على جانبها.. ترضع صغارها.. تموء.. تنظر إلينا بعينيها الخضراوتين.. يبدو وجهها مبتسماً كوجوه سائر القطط.. صديقي القطيط ذو اللونين الأبيض والأسود يرضع هناك أيضاً.. شعرت شارلسورث

بريانون وهي تداعبها وتداعب صغارها . . أخبرتها بمدي نشاطها . . مدي جمال صغارها . . جلسنا هناك لوهلة ننظر إلى شارلسورث وصغارها .

إنتشر عبق ريانون الجميل حتى وصل لأنفي . . أحببت رائحتها للغاية . . لم أشعر بألم رأسي . . إختفت الحمرة من وجهي . . توقف إحساسي بالانتشاء . . كنت سعيداً بذلك . . لأني أعلم الذي سينتج عن ذلك . . ستهتز قدمايّ . . سأستمني . . عندئذ سأشعر بأعلى درجات السعادة والنشوة . . سيكون هذا أعظم إحساس على الإطلاق . . لازلت أشعر بالحرارة في جسدي بسبب قرب ريانون مني . . إختفي شعوري بالانتشاء . . لكن تمنيت لو إختفي بممارسة الحب معها .

شاهدنا شارلسورث وصغارها لوهلة . . إبتعدنا قليلاً عنها . . في مكان خال . . كانت فيه بعض أكوام القش من قبل . . لكن أزيحت بعيداً ليصبح المكان مسطح كالفراش . . جلسنا فيه . . سندنا ظهرينا على العوارض الخاصة بأكوام القش حتى يمكننا رؤية الفناء بأسفل . . الطريق المؤدي إلى الجبل . . قمنه أيضاً . . شربت ريانون بعض الخمر . . أعطتني الزجاجة . . لم أشرب الخمر أبداً من قبل . . شربت بعضاً منه . . بدا الأمر كأني معتاداً عليه . . كأني لم أترك زجاجة الخمر من يدي طيلة حياتي . .

شعرت بأنه جزء مفقود مني.. وإستعدته.. أحببت رقته وهو ينساب برأسي ويسري في جسمي .

- إستمتع بحياتك أم تريد أن يكون حالك كحال خالك ؟

لا.. أعتقد أنني لا أريد أن يطلق الرصاص على خرافي.. أو تموت زوجتي منتحرة.. مشنوقة على فرع شجرة.. لكن ليس لديّ زوجة ولا خراف.. لذا تساءلت ما الذي تعنيه بكلامها هذا.. أردت أن أسألها.. لكنها أخذت الزجاجة مني.. وضعتها على فمها.. رأيت شفتيها حمراء بلون البرقوق.. ممتلئة حول رقبة الزجاجة.. شعرت بأني أتنشي مرة أخري.. لم أعرف السبب.. ربما لأني أحببت طريقة إستدارة شفتيها حول عنق الزجاجة فحسب.. إستمر الحال هكذا.. تتقاسم الخمر.. تمتليء شفتا ريانون.. حتى فرغ الخمر كله.. دفعنا تأثير الخمر إلى أن نروي لبعضنا قصصاً.. أخبرتها عن أحلامي.. عن الذي أراه فيها.. عن أصدقائي الأسياد.. عن العمة فاي التي رأيت شبحها في حلم من أحلامي.. عن حزن العالم الذي سيزداد إن لم نواجهه.. أخبرتني عن خوفها على أنجراد.. عن كراهيتها لآرثر.. عن أنها لا تطيق معاشرته.. لا تستمتع بممارسة الحب معه.. إستأت.. حزنت من كلامها هذا.. قالت لي أنني نقي.. لم أعرف معني هذا إلا عندما شعرت فجأة

بالحرارة تسري في جسدي.. أنتشي.. تحسستني ريانون بيدها.. لم أر أي شيء في هذه اللحظة سواها.. تمنيتها.. رغبت فيها.. مارست الحب معها حقاً في أحلامي.. تمنيت من قلبي أن أضمها إلى.. أقبلها.. أمارس الحب معها في الحقيقة.. وقد حدث ذلك بالفعل بمجرد أن تحسستني يدها.. نعم، فعلتها حقاً معها.. لم أصدق.. لم أتخيل أن حلمي يمكن أن يتحقق بهذا الشكل.. كان الأمر سهلاً للغاية.. جميلاً.. مثيراً.. رائعاً.. وكأني لم أتوقف عن فعله أبداً.. بالرغم من أن هذه هي المرة الأولى التي أمارس فيها الحب في الحقيقة.. ربما شعرت ريانون بذلك.. عبرت عنه بكلمة "نقي".. تبدلت تماماً بتلك الفعلة.. مثلما غيرني حلمي السابق عن الأسياد.. أصبحت مختلفاً عن ذي قبل.. أكثر نمواً ونضجاً.. سعدت بها حقاً.. سعادة لا مثيل لها.

شعرت بأني كالوحش الذي ينقض على فريسته.. كذلك الوحش الذي أجهز على الخروف.. سحبه أعلى الشجرة.. كالثعبان الذي إبتلع الضفدع.. وظلت أقدامه تهتز في فمه.. كآرن وهو ينقض على الفئران.. كأحد الصقور الجارحة وهو يجهز على الأرانب.. كالثعلب وهو يهجم على الدجاجات.. ككل حيوان أو طائر كبير ينقض على الفرائس الصغيرة.

إستقرت يد ريانون بلطف على بطني.. إنتفضت قليلاً من الصدمة.. لم أتوقع أنني سأفعل ذلك في الحقيقة.. في الواقع.. ومع من ؟ مع ريانون ! التي حلمت بها كثيراً.. ومارست الحب معها عدة مرات في أحلامي.. هل تحقق الحلم بالفعل ! أم أنني أحلم بتحقيقه فحسب !.. مارست الحب فعلاً معها.. إعتقدت أنها تريد فعلها ثانية.. كنت مستعداً لذلك.. لكنها ضحكت وقالت لي متسائلة :

– أول مرة تمارس فيها الحب.. إليس كذلك ؟..

أومأت بالإيجاب

– لذا، لن تنساني أبداً.. لا ينسي أحد أول مرة مارس فيها الحب.. سأكون دائماً في عقلك وقلبك .

ربتت على قلبي مرتين كما أربت على رأس آرن.. سمعت قلبي يضرب بعنف بداخلي.. ملت برأسي جانباً لأنظر إليها.. إنها شاردة.. تنظر إلى سطح الحظيرة.. رأيتها تومئ مجيبة على سؤال لم يطرح.. إن لم يكن سؤالاً طرحته هي على نفسها.. أخبرتني أنه من الأفضل أن نرتدي ثيابنا ونعود إلى المنزل.. حزنت قليلاً بعدما فعلنا ذلك.. لم أعد أري جسمها مرة أخري.. لم تعد تري هي الأخري جسمي .

شعرت بالحزن لأن هذا الوقت الجميل قد مضي.. لن أحصل على مثله أبداً ثانية.. ودعنا شارلسورث وصغارها النائمة.. نزلنا من على تل القش.. سرنا في الفناء المليىء بالسماد متجهين نحو المنزل.. عدنا في الوقت المناسب.. سمعت صوت شاحنة درانكل تصعد الجبل.. دخلنا المنزل قبل أن يرانا درانكل معاً.. إلى المطبخ حيث تفوح الروائح الطيبة.. التي جعلتني أتضور جوعاً.. آرن يجلس هناك.. ينظر إلينا.. يهز ذيله.. سمعنا صوت محرك الشاحنة يتوقف بالخارج.. صوت باب يغلق.. قبلتني ريانون مرة فحسب.. نظرت إلى.. لم أستطع أن أمنع الحرارة من السريان بجسدي من الإثارة.. أو أمنع نفسي من الإنتشاء.. طلبت مني إلتزام الصمت.. أومأت متسائلة.. فأومأت بالإجابة.. فهمت معني إيماءتها.. لا تريدني أن أخبر درانكل بممارستنا الحب معاً.. فأومأت بالموافقة.. إبتسمت لها.. فتح درانكل باب المطبخ.

– ريانون.. ماذا تفعلين هنا ؟

- أعد بعض إلى خني لك وللصبي . . هل أنت جائع ؟

وقف بالباب . . يشم الروائح الطيبة بالمطبخ . . إبتسم وهو ينظر إلى كل شيء فيه . . سعدت لرؤية درانكل بهذه الحالة .

- أتضور جوعاً . . وهذه الرائحة الطيبة تدل على نجاحك في إعداد طعام شهي .

إبتسم لي . . داعبني . . إبتسمت بدوري . . جلس على الكرسي الكبير القديم بالقرب من المدفأة . . رفع آرن رأسه للحظة . . هز ذيله . . ربت درانكل على رأسه . . إستسلم آرن للنوم ثانية . . وهو سعيد . . كل شيء حوله نظيف . . كل من حوله يحبهم ويحبوه . . خلع درانكل حذاءه العالي الرقبة . . قال أنه أحضر بعض الأدوات لتنظيف الفناء . . أكياس . . مساحات . . فرش . . أشياء من هذا القبيل . . أخبرني أنه سيقوم بتنظيف الفناء بعدما يأكل شيئاً لأنه يتضور جوعاً . . هل يهتم بالنظافة إلى هذا الحد ؟ على غير عادته . . أعرفه جيداً . . تعد ريانون المائدة . . تضع عليها خبز . . سلطانيات . . تابعت حركاتها . . أمعنت النظر في قدميها وهي تتمايل . . فخذيها . . أردافها الممتلئة في الجينز . . صدرها الممتلىء . . أتأمل شعرها . . أساورها الرنانة حول معصميها . . لم تلتفت لي . . لكنها تشعر بأني أتفرسها . . رأيتها تبتسم خلسة . . غمزت لي سريعاً . . نظرت

إلى نظرة خاطفة سريعة كسرعة طيور السنونو وهي تطير في الفناء.. حول المنزل.. حول الجبل.. كعادتها في فصول الصيف .

-١٠-

طلبت منا ريانون الجلوس على المائدة.. ففعلنا.. مازال آرن نائماً شبعاً الآن.. فقد أكل لتوه أمعاء الأرنب.. تخيلت أمعاء الأرنب بأمعاء آرن.. كالدرجات البخارية على ظهر الشاحنات.. هذا الوضع يثير في الضحك بعض الشيء.. نام آرن على ظهره.. أرجله الأربعة لأعلى.. فتح عينيه قليلاً ليري ريانون وهي تحمل سلطانيات إلى خني إلينا التي تنبعث منها بخار ذو رائحة طيبة.. شم درانكل رائحة البخار الشهية.. جلست ريانون معنا.. ومعها سلطانيتها.. أكلنا إلى خني الرائع بشهية مفتوحة وسعادة بالغة .

يا له من يخني جميل للغاية ! قلت في ذهني: شكراً لك يا ريانون.. ليس فقط على إعدادك هذا إلى خني الجميل.. بل أيضاً على أفضل وقت قضيته في حياتي.. على أجمل اللحظات التي منحتني إياها بممارستك الحب معي.. لحظات لن أنساها ما حييت.. أكلت قطع الأرنب وحساء إلى خني.. نظرت إلى ريانون وهي تتناول الحساء.. شفتاها بلون البرقوق تقتربان من

الملعقة.. تبرزان للأمام مثلما كانتا في زجاجة الخمر.. أردت أن أقبلها بحرارة.. تمنيت أن أشعر بشفتيها ثانية على جسمي.. تساءلت إن كنت أستطيع فعل ذلك لاحقاً.. تحدثت مع درانكل عن آرثر.. عن أمور أخري متعلقة بالعمل والمال.. لم أهتم بسماع ذلك.. أطلقت العنان لعقلي كي يفكر في العلاقة الحميمة التي مارستها من قبل مع ريانون في القش.. بالطبع، شعرت بالحرارة تسري في جسدي بالإثارة والإنتشاء.. لذا بعدما إنتهيت من طعامي.. صعدت السلم.. إلى الطابق الأعلى.. رقدت في فراشي.. وإستمنيت.. لم يكن ذلك بجمال الوقت الذي أمضيته مع ريانون.. نمارس الحب سوياً.. لكن على الأقل إختفت الحرارة من جسدي.. إختفي الإنتشاء.. سعدت بذلك جداً فيمكنني حينئذ التفكير في أمور أخري.

نظرت إلى بحيرة بالا للحظة.. مازال لا وجود للوحش.. كل يوم، أتأكد من كلام درانكل أنه لا وجود للوحش في حياتنا.. بل نحن من نخلقه لنطارده وننتصر عليه.. فننتصر على الخوف بداخلنا ونشعر بقوتنا وشجاعتنا وبأننا ذوي قيمة وأهمية في الحياة.. هناك بعض الرجال يجلسون خارج عربة كبيرة.. يتناولون رقائق البطاطس.. بعد فترة، سمعت صوت شاحنة.. نظرت من النافذة.. رأيت ريانون في الشاحنة البرتقالية.. تقود

بعيداً عن المنزل.. تهبط الجبل.. شعرت بالحزن.. إنفطر قلبي لفراقها.. نادني درانكل.. فنزلت إليه.. سألني عن شيء ما.. وقبل أن أجيبه بأي كلمة.. سألته أين ذهبت ريانون.

– عادت إلى منزلها.. إلى زوجها الهمجي هذا.. سيعود من الحقول قريباً إلى المنزل.. سيطلب شاياً.. يا ويل تلك البائسة إن لم يكن جاهزاً على المائدة.. أخذت معها إناء من إليخني.. على الأقل، لن تطهو شيئاً لهذا الأحمق العاطل.

إبتسم لي إبتسامة صغيرة.. فإبتسمت له بدوري.

– على أي حال، ما أروعك إن ساعدت خالك في تنظيف فناء مزرعته.

أومأت بالموافقة.. إرتديت أنا ودرانكل ثياباً قديمة.. حتى لا تكترث بها إن إتسخت.. خرجت في الفناء.. نظرت فحسب إلى كل شيء حولي.. إلى كل الأكياس الفارغة.. أجزاء الآلات المحطمة.. أكوام التين.. البرك الصغيرة الموحلة المليئة بالسماد.. إلى غير ذلك من مهملات – كما أراها – فكرت في أي جزء لعين أبدأ بتنظيفه ! وقفت هناك فحسب.. أنظر حولي.. ذهب درانكل ليبحث عن الآلات التي تعمل حول الحظيرة.. سمعت صوت محرك يعمل.. ثم سمعت آرن يضجر داخل المنزل كما لو كان يجيب على صوته.. عاد درانكل من خلف الحظيرة.. وهو يقود

الجرار الصغير البني اللون.. مكشوف السقف.. لكنه يعمل..
جمعنا كل الأشياء النظيفة.. الغير متسخة بالسماد.. نظفنا ركناً
حيث وضعنا كل تلك الأشياء على شكل كومة كبيرة من
الأكياس.. المعادن.. حطام السيارات.. نظفنا.. مسحنا
كل الأجزاء المليئة بالسماد.. وضعناها في أكوام.. كانت هذه
الأشياء متعفنة.. فظيعة.. بها ديدان بيضاء تتلوي..
حشرات أخري بداخلها.. تقفز بعيداً.. حشرات طائرة
تطن.. كل شيء مقزز.. أفكر دائماً في جسد ريانون.. أجزاء
جسدها الممتلئة.. الدافئة.. في شعوري عندما لمستني..
قبلتني.. أردت أن تفعلها ثانية.. إستخدم درانكل الدلوليجرف
كل أكوام السماد من على الجرار.. تخلص منها كلها في حفرة..
وضعنا كل الأكياس والقطع المحطمة في الدلو.. تخلص منها خلف
الحظيرة.. قال لي أنه سيتخلص من هذه القاذورات قريباً.. غداً
أو بعد غد.. نظفنا الخنازير.. لا.. لا..أتذكر أننا لم نفعل
ذلك في باديء الأمر.. أخذتها إلى حظيرة أخري.. نظفتها
جيداً.. إستخدم درانكل الجرار الصغير لينتقل كل السماد..
المهملات للخارج في الحفرة مع كل القطع الأخري المحطمة المليئة
بالسماد.. وضع قش نظيف في حظيرة الخنازير.. فتحت لها
البوابة.. دخلت وهي تجري.. تضرب بأرجلها.. كأنها

سعيدة.. أحبت نظافة المكان حولها.. فالخنازير غير قذرين.. بعكس إعتقاد الكثير أنها قذرة.. سكبنا سائل تنظيف.. مبيضات أخري في كل الفناء.. نظفنا بها كثيراً.. سكبنا الماء في كل مكان.. غربت الشمس.. لم يحل الليل بعد.. وقفنا في الفناء النظيف.. رأينا الخفافيش تضرب بأجنحتها حولنا بسرعة.. أحببت الوقوف هناك، حتى حل الظلام.. كنت متألماً من التعب والإجهاد.. تطير الخفافيش حولي وكأنها سعيدة بنظافة المكان.. كل شيء نظيف وجميل.. فيما عدايّ بالطبع.. متسخاً لأن بعض السماد لطخني ولطخ درانكل أيضاً.. عدنا إلى المنزل.. ألقينا ملابسنا البشعة في الغسالة.. أخذنا حماماً.. أكلنا بعض إلىخني الذي طهته ريانون مع قطع كبيرة من الخبز.. أكل آرن بعضاً أيضاً.. شاهدنا التلفاز لفترة قصيرة.. كلنا مجهدين للغاية بعد تنظيف الفناء.. ذهبنا للنوم.. رقدت في فراشي في الظلام مع آرن.. الذي يرقد هو الآخر تحت السرير.. فكرت في ريانون.. تحسست جسدي مرة أخري.. إستمنيت.. زاد ذلك من تعبي.. شعرت بعيناي ثقيلتين من الإجهاد.. قبل أن أذهب في نوم عميق.. سمعت صوت بومة في الفناء.. النظيف في ذلك الوقت.. حيث مارست الحب مع ريانون.. شعرت بالسعادة لكل تلك الأمور.. سماعي صوت

البومة.. تخيلي لحظة الحب مع ريانون.. نمت بعمق وأنا سعيد حقاً.

مضي فصل الصيف.. جاء الشتاء بأوقاته الممطرة.. مضي عام كامل.. أشرقت أيام الصيف بسماء صافية مشرقة.. كان الصيف الماضي جميلاً.. بأشجاره وجباله.. بمناظرة الخلابة.. الشمس تسطع كثيراً على قمة الجبل.. تختفي.. فيأتي القمر.. ينير بضوئه البحيرات والأنهار.. جريت أنا وآرن في جنون في الفناء الذي نظفه درانكل.. بحثت عن شبح "سنوبول".. لكني لم أره.. بالرغم من رؤية آرن له في حظيرة الأبقار.. عندما جاءني يركض يوماً ما خارج الحظيرة.. عينيه جاحظتين.. ينتفض جسمه من الرعب والفزع.. كبرت قطيطات شارلسورث حجماً.. علينا التخلص منها.. كتبت أنا ودرانكل لافتة باللون الأبيض على لوح خشبي تقول: "قطيطات – بالمجان لأسرة محترمة ترفق بالحيوان".. توقف البعض بسياراتهم.. أخذوها كلها عدا القطيط ذو اللونين الأسود والأبيض.. الصغير الحجم بالنسبة لإخوته.. سعدت لذلك جداً.. لأنه أفضل القطيطات.. لم تحزن شارلسورث لرحيل صغارها.. رحلت هي الأخري بدورها يوماً ما بعد ذلك.. ذهبت بلا عودة.. أعتقد أني لن أراها كالوحش الذي لن أراه أبداً.. قال لي درانكل ألا أحزن.. كل

القطيط تظل لفترة في مكان ما.. ثم ترحل فحسب.. أما صديقي.. القطيط ذو اللونين الأسود والأبيض.. كبر حجمه كأخواته.. لكن صار أقل القطيطات حجماً.. بني بيتاً له في القش.. أزوره كل يوم.. أداعبه.. يموء.. لكنه لم يعد يعضني.. لم أعايش أحلاماً هذا الصيف.. أعتقد.. بلي.. عايشت حلمين ليلاً.. لم أتذكر أنهما راوداني في وضح النهار.. تزورني ريانون كثيراً.. كلما جاءت أشعر بالحرارة تسري في جسدي.. بالإثارة والإنتشاء.. لكننا لم نمارس الحب معاً أبداً ثانية.. وإن أردت ممارسته دوماً معها.. تمنيته من قلبي.. إبتسمت لي كثيراً إبتسامات تدل على أنها تتذكر علاقتنا الحميمة التي مارسناها سوياً في القش.. تحب أن تتذكر ذلك.. أفكر كثيراً في تلك اللحظات الحميمة الدافئة مع ريانون.. أخبرت آرن عنها.. لكن لم أخبر درانكل قط.. تمنيت كثيراً لو يراودني حلماً حيث يمكنني إخبار فاي عن تلك الفعلة .. لكن تقريباً لم أعايش أحلاماً كثيرة هذا الصيف.. لكن سأري ريانون..

-١١-

.. أتمني دائما أن تبتسم لي تلك الإبتسامات الموحية بممارسة الحب.. أحب ذلك حقاً تساءلت لم لم نمارس الحب معاً بعد ذلك فهي تحب ممارسة الحب معي ؟!.. أحبت تلك اللحظات

الحميمة التي قضيناها معاً من قبل.. تذكرت تعبيرات وجهها أثناء العلاقة.. الأصوات التي تصدر منها حينها.. ترغب في.. أرغب فيها.. تريد ممارسة الحب ثانية معي.. وإلا لما فعلتها من قبل ؟ جلست أنا وآرن مساء يوم على التل.. وتبدو النجوم أعلى الجبل القريب منا.. فكرت في سبب حاجة البعض لفعل أمور معينة مرة فحسب.. لأنهم يفكرون كثيراً فيها.. تهتاج أجسادهم.. لا تهدأ إلا عندما يقوم أصحابها بتلك الأمور مرة فحسب.. بعد ذلك، لا حاجة لفعلها ثانية.. ربما ينطبق هذا على ريانون وعلاقتها الحميمة معي.. إقتنعت بهذا التفكير.. وهذا الإستنتاج.. لم أحزن.. أنظر إلى ريانون عندما تأتي إلى المزرعة.. أحببت النظر إليها.. يساورني القلق بشأن آرثر.. تري.. ماذا يدور برأسه ؟ فهي تأتي هنا كثيراً.. تخيلت عدة مرات شاحنة آرثر السوداء تركن بعيداً.. أعتقد أن آرثر يراقبها.. رأيت كثيراً إنعكاس ضوء على منزلنا.. أعتقد أنه منظار آرثر يتجسس علينا.. لا، طرحت ذلك التفكير.. هذا الشك جانباً.. إنها الشمس تلقي بأشعتها على أجزاء من الجبل فتنعكس علينا.. أو هناك بعض الصخور الزجاجية تلقي عليها الشمس أشعتها فتنعكس بدورها علينا في حين أنني لم أستطع منع

نفسي من النظر إليها وهي تتحرك صوب الفناء . . وفي المنزل . . نظرة . . فإبتسامة و . . نعم . . فرغبة .

لم يقتل الوحش خرافاً أخري بعد الآن . . إن كان ذلك قد حدث بالفعل فيبدو أنه قد مات أو رحل أو بدأ في قتل أشياء أخري . . لم يرحل زوج أمي أبداً . . لكني أردت ذلك فعلاً . . تمنيت لو يمزق الوحش رأسه اللعينة الغبية . . لم يحدث ذلك أبداً . . جاءت أمي إلى المزرعة لرؤيتي . . أحضرت لي معها يوماً ما دوائي . . لم أحتج إليه . . لم أتناوله . . فلم أعد أعايش أحلاماً حينئذ . . أحضرت لي أيضا بعض البسكويت الذي أردته بالفعل . . فهو من أنواعي المفضلة .

جلسنا على المائدة بالخارج بالقرب من المنزل . . إحتسيت الشاي . . دخنت . . أكلت البسكويت اللذيذ . . لم أتذكر حديثي معها . . أذكر فحسب أنها أخبرتني أنها تراني سعيداً مع درانكل . . ومن الأفضل أن أظل هنا . . فهمت الذي تعنيه بقولها هذا . . لم أريد أن أعيش معها ومع زوجها الملعون على كل

حال.. فضلت البقاء فوق الجبل مع درانكل.. آرن.. القط ذو اللونين الأسود والأبيض.. ريانون التي تأتي إلى كثيراً.. سأل درانكل أمي إن أرادت البقاء لإحتساء الشاي أو الذهاب لتناول مشروب ما في جبل تافرن.. لكنها رفضت.. فعليها العودة.. شاهدتها تنزل الجبل مسرعة إلى زوجها الملعون.. تحركت مسرعة.. حزينة لفراقي.. لكنها لم تظهر لي ذلك.. إستدرت.. ناديت على آرن الذي جري نحوي سريعاً.. ركضنا نحن الإثنين من على الجبل لتسلق تل القش.. توقعت أن أري شارلسورث هناك.. لكنها لم تعد هناك بعد الآن.

أحب دارنكل جداً.. بعاداته التي حفظتها عن ظهر قلب.. فهو خالي.. صديقي.. رفيقي.. أحبه في جميع الأحوال.. لم يتحدث كثيراً عن فاي.. لكن أعرف أنه يتذكرها.. يشعر بها.. يشم رائحتها.. لأني أستطيع ذلك أيضا.. أحيانا، يغمض عينيه.. لا ينام بل يتخيل نفسه مع فاي.. في علاقة حميمة.. تخرج ريانون أحيانا مع درانكل خارج المنزل.. أتساءل إن مارسا الحب سوياً.. لكنهما لم يفعلا ذلك على ما أعتقد.. لا توجد تلك السحابة الجملية فوقهما كتلك التي تظهر فوق المحبين.. لم يبتسما لبعضهما البعض تلك الإبتسامات الموحية بممارسة الحب.. أما أمي وزوجها الوغد.. فوقهما سحابة سوداء كريهة

كالسماد الذي نظفته مع درانكل في الفناء.. كذلك أيضا فوق آرثر ذو الوجه القبيح وريانون.. تلك السحابة التي تدل على الحب المصطنع بين الطرفين.. كذلك الحال بين أمي وزوجها.. بين آرثر وريانون.. أما أنا وريانون.. حبنا حقيقي جارف.. كانت هناك سحابة جميلة فوقنا تظللنا ونحن في القش أثناء ممارستنا الحب معاً.. لكننا لم نفعل ذلك ثانية.. وكأنما أحرقت الشمس تلك السحابة الجميلة فوقنا.. ولم تعد تظهر أبداً حرنت لذلك قليلا.. لم أكترث حقاً.. سيكون هناك دائما وللأبد جزء صغير من تلك السحابة الجميلة الطيبة فوقنا.. سيبقي حبنا للأبد.. سعدت لذلك حقاً.. في الواقع، شعرت بالسعادة طوال أيام الصيف.. لم تعد هناك مدرسة ولا أحلام أعايشها.. قضيت وقتي فوق الجبل.. سبحت مع آرن في البحيرات والأنهار في المناطق الجبلية.. أحيانا مع درانكل وريانون أيضاً.. وجدنا أنواع كثيرة من الأسماك.. إحداها تبدو وكأنها بزي فارس يمسك درعاً.. أخبرتنا ريانون أنها سمكة الإربيان.. رفعتها لأعلى أمام عينايّ لأمعن النظر فيها.. أحببتها جداً.. رأيت عينيها.. مخالبها.. أقدامها وهي تضرب الهواء.. إنها نوع من الأسماك التي تتغذي على الحشرات.. لكن أكبر منها.. شاهدت الطائرات الورقية.. الصقور الجارحة في السماء الزرقاء المشرقة.. مضت أعوام..

أري فيها طائراً مرفرفاً . . وجدت عش الطائر نفسه يوماً ما . .
رأيت فرخاً صغيراً في العشب . . ابتعدت عنه بسرعة . . لم أريد
أن أخيفه أو أن أصاب بجروح من مخالب ومناقير الطائرين الكبيرين
– أمه وأبيه – رأيت أفعي على حجر ما . . تنبهت لي ولآرن . .
كان خطئي . . أخرجت لسانها الفظيع كالسوط لتلدغنا . . ما إن
هجمت علينا بسرعة بفمها المفتوح وأنيابها الحادة . . حتى ركضنا
بعيداً . . جلست على التل وحدي . . بدون آرن الذي ركض
وهو ينبح عائداً إلى المنزل . . وقد أفزع الغريرات التي أحببت رؤيتها
ومراقبتها خلسة . . غربت الشمس خلف الجبل . . رأيت ثلاث
غريرات صغيرة تخرج من الأشجار . . وغريرين كبيرين . .
شاهدتها جميعها بعد ذلك كل يوم . . تلعب . . تهرول على
التل . . أحببتها جداً . . إنها عائلتي . . عائلة الدببة الصغيرة ذات
اللونين الأسود والأبيض . . رأيت القط ذي اللونين الأسود والأبيض
وهو يصطاد الفئران في فناء المزرعة . . لم إكترث لذلك . . فهو
كبقية القطط . . يحب مطاردة الفئران . . وقفت في الفناء حتى
حل الظلام . . طارت الخفافيش فوقي . . على مقربة مني . .
أحب الطبيعة جداً . . أعشق عالم الثعابين . . الطيور . .
الخفافيش من حولي . . تأسرني الأنهار . . الجداول . .
السحاب . . الشمس . . القمر . . الجبال . . الصخور . .

فيجري النهر بداخلي مجري الدم في العروق.. يبدو عقلي كالسحابة التي تشرق بها الشمس.. فكرت في أجدادي القدماء الذي ن عاشوا لأعوام كثيرة مضت على الجبال.. يحولون الصخور إلى أدوات وأسلحة مثلما ذكر لي درانكل من قبل.. أحب الطبيعة جداً لدرجة أني أراها الجنة على الأرض.. لكن.. فجأة، تبدلت الأحوال بالخارج.. في الفناء.. حل الظلام بسرعة.. مازال الهواء دافئاً.. السماء حالكة الظلام.. السحب رمادية اللون.. ثقيلة.. تبدو محملة بالأمطار.. بدأت تتساقط قطرات قليلة من المطر.. عندئذ.. حدث شئ رهيب.

هناك عاصفة شديدة على الجبل.. خرجنا أنا.. درانكل.. ريانون.. وآرن لنراها.. نرتدي معاطف لتحمينا من المطر.. لم يكن آرن في حاجة لأن يرتدي واحداً.. فهو يتدفأ ويحتمي من المطر بفرائه.. يظهر البرق في السماء.. خلف الجبل على شكل خطوط ضوء بنفسجية وبيضاء اللون.. تومض.. تضيئ.. كأيدي هياكل عظمية بيضاء عملاقة.. وكأنها تنتزع شئ ما على قمة الجبل ثم تختفي بسرعة شديدة.. وقفنا في الفناء نشاهد البرق.. عندما تحرك بعيداً عن قمة الجبل.. أخذنا الشاحنة.. تعقبناه بسرعة.. فهو رائع.. مذهل.. أردنا أن نراه مراراً.. عندما نظرت إليه.. يومض.. يختفي فيومض مرة أخري على

قمة الجبال.. تخيلت أني إخترقت السماء.. مررت بالسحاب.. وجدت نفسي حيث توجد العمة فاي.. تحولت مثلها إلى روح قوية تعرف كل شئ.. ويمكن أن يظهر شبحي مثلها على الأرض في أحلامي.. قدنا الشاحنة إلى مناطق جبلية أخري وعرة.. عبرنا جبل تافرن.. نزلنا أسفل المناطق العالية.. سعداء.. نضحك كثيراً.. نتعقب البرق.. نسير في العاصفة.. بدأ الظلام يسدل ستائره على السماء.. فهدأت العاصفة.. نضحك بجنون من السعادة.. قدنا إلى قلب الوادي.. خرجنا من الشاحنة.. مستعدين للتحدث بلهجة مقاطعة ويلز.. فيما عدا آرن بالطبع.. سرنا جميعاً.. ننظر إلى السماء حيث البرق الذي يومض ويختفي.. كان ذلك رائعاً حقاً.. أعرف أين نحن الآن.. في طريقنا إلى الحفرة.. النبع.. الحجارة.. يقفز آرن حولنا.. يهز ذيله سعيداً.. يشير درانكل إلى السماء حيث خطوط البرق كأيدي بيضاء لهياكل عظمية عملاقة.. تشير إلينا بأصابعها الرفيعة للغاية.. الكبيرة.. العظمية.. يهطل المطر بشدة على غطاء رأسي.

شعرت بالدوار.. أفقد وعيي.. سأعايش حلماً من أحلامي.. حاولت ألا أنصت لصوت المطر.. لكنه شديد.. يضخمه غطاء رأسي.. لذا خلعته.. كان ذلك سيئاً.. فبدأ

المطر يهطل على رأسي.. فأصبحت مبتلة هي الأخري..
إستمر الدوار برأسي.. سأفقد وعيي تماما.. يا إلهي ! هل سأري حلماً ثانية، ينظر آرن إلى قلقاً.. يتقدماني درانكل وريانون في العاصفة.. متشوقين جداً لرؤية البرق.. يشربان الخمر.. مثلما فعلت مع ريانون قبل ممارستنا الحب معاً من قبل.. هذه العلاقة الحميمة التي إعتاد درانكل عليها مسبقاً مع فاي.. ولم يعد يمارسها منذ أعوام بعد رحيلها.. ناديت عليهما.. العاصفة شديدة.. فمنعتهما من سماعي.. استمر الدوار برأسي.. أفقد وعيي تدريجياً .

ترك درانكل وريانون الطريق الوعر.. تبعتهما مع آرن.. الحفرة قريبة مني.. لم أعلم مكانها بالضبط بسبب الظلمة التي تتسرب إلى السماء.. النبع والحجارة على مقربة مني أيضا.. لكن لم أرها أيضا.. ناديت على درانكل وريانون.. لكن صوتي بدا خافتاً.. أقل من صوت الذبابة في هذا الرعد الفظيع.. هذا المطر الشديد.. إستمر الدوار برأسي .

بحثت في الأرض عن ريش.. عظام.. أو أي شئ من هذا القبيل.. لكن لم أر شيئاً.. لذا سحبت بعض الطحالب من تحت صخرة.. طويتها.. وضعتها خلف أذني.. ستحميني من أي شئ.. من الأرواح الشريرة التي تهاجمني في أحلامي.. بدأ

البلل بالطحالب ينساب في أذني.. المبتلة من قبل على كل حال..
استمر الدوار برأسي يزداد شيئاً فشيئاً.. شعرت بأن أمراً سيئاً سيلحق بي.. قلت: سيحدث ذلك بالفعل.. سأعايش حلماً الآن.. الأرواح قادمة.. ستنقض على.. يا إلهي!

- درانكل.. ريانون..

ظهر وميض خاطف أمام عيناي حيث رأيت درانكل وريانون يقفان بالقرب من الحجارة.. كأنما يحتميان بها من المطر.

إزداد الوميض.. لم أر شيئاً من حولي.. كل شئ تحول إلى.. بومة.. بومة بيضاء كشبح الثور الذي ظهر في الحظيرة.. رأيتها تطير بسرعة في المطر.. رأتني هي أيضاً.. إقتربت مني.. لم أر عينيها من المطر والظلام.. دخلت في جسم هذا الطائر.. إتحدت معه.. أري الآن كل شئ بعينيّ البومة.. تحولت إلى طائر بجناحين.. يطير لأعلى.. نظرت لأسفل.. رأيت..

نفسي وآرن نقف بالقرب من الحفرة.. النبع.. الحجارة.. كل شئ تحتي.. أصبحت الآن بومة تطير لأعلى.. بدت الحجارة.. درانكل وريانون الواقفان بجانبها.. بدا كل شئ صغيراً بأسفل.. أطير لأعلى فأعلى.. نظرت لأسفل.. رأيت آرثر خلف ريانون ودرانكل يتسلل تجاههما مرتدياً معطفاً أحمر اللون.. ممسكاً بفأس في يده.

- خإلى ! ريانون !

صحت بصوت البومة الذي لم يعرفه أحد.. لذا لم يتحركا.. وقفا هناك فحسب في العاصفة.. فأعادتني البومة إلى جسدي على الأرض.. سمعت نباح آرن.. كل شئ حالك السواد من حولي.. لم أر شيئاً سوي المطر فحسب.. حاولت الجري.. لكن شعرت بدوار شديد.. سقطت أرضاً.. لم أقو على تحريك قدماي.. ولا الوقوف عليهما.. جلست هناك مبتلاً من المطر.. أصيح : خإلى ! خإلى !

لازال صوتي خافتاً والرعد يدوي بالسماء.. ظهر وميض آخر أمامي.. عدت إلى جسم البومة ثانية.. أطير لأعلى.. رأيت آرثر ممسكاً بفأس في يده.. يزحف صوب ريانون ودرانكل اللذان ينظران إلى السماء.. يسمعان صوت الرعد بها.. رأيتهما من ظهرهما فحسب .

ناديت عليهما بإسميهما بأعلى صوتي.. لا.. بل بصوت البومة.. الذي بدا كضوضاء شديدة جداً.. لم يلتفتا إلى بالطبع.. لم يفهما كلام البومة.. وميض آخر.. رأيت ريانون في الوحل.. على الأرض يمزقها آرثر بالفأس كالجزار.. يقفز درانكل على ظهر آرثر ليخلصها من يده.. عاد الظلام ثانية.. عدت إلى

جسدي على الأرض.. لم أر سوي ظلالاً.. أشكالاً مظلمة فحسب.. ذراع تغطيه حمرة الدماء ممسكاً بفأس.. يرفعه لأعلى وينزل به لأسفل.. ثم لأعلى ثانية.. فأسفل.. ينهال على جسدين على الأرض.. يمزقهما.. سمعت صرخات مدوية تتداخل مع صوت المطر.

أعياني هذا المنظر جداً.. شعرت بالدوار.. لم يمزق آرثر درانكل وريانون بالفأس بالفعل هناك بالقرب من الحجارة.. كان هذا حلماً فظيعاً مخيفاً.. شعرت بشئ دافئ على وجهي.. فتحت عينايّ.. رأيت أنف آرن قريبة جداً مني.. يلعق وجهي.. نظرت في عينيه.. كانتا صافيتين كالمياه.. تظهر فيهما فاي.. دخلت في عيني آرن مثلما دخلت في عيني البومة.. أصبحت أنا.. كلبي الطيب آرن.. أركض.. أقفز.. شعرت بقوة في أقدامي.. عنقي.. أسناني حادة.. أستطعت الرؤية في المطر والظلام.. رأيت درانكل ملقي أسفل إحدي الحجارة.. مغمض العينين.. لا أعرف إن كان ميتاً أم مغشياً عليه فحسب.. لكن الدماء تغطي وجهه إثر جرح غائر برأسه.. رأيت الفأس يرفع لأعلى.. ينزل بسرعة على يد ريانون.. فيقطعها.. تسقط إلي أمام عينيها.. لم تبد كيد لأنها بلا أصابع.. فقد قطعها

آرثر قبل أن يبتر يدها . . سمعت آرثر يزأر . . ذقنه حمراء اللون من الدماء . . تتساقط منها خيوط الدم على معطفة الأحمر .

– عليك اللعنة يا عاهرة ! أتظنين أني غبي يا إمرأة ؟ هل تعتقدين أني لم أعرف طوال الصيف اللعين هذا ؟ كان لابد أن أمزقك إرباً منذ عام مضي . . لا تستحقي الحياة أيتها اللعينة . . سأنهي حياتك بيدي .

رأيت تلك إلهد الممسكة بالفأس تغطيها الدماء مثلما تغطي الفأس أيضا . . ما إن إرتفعت تلك إلهد بالفأس لأعلى لتنهال به على ريانون ثانية حتى شعرت بنفسي . . وأنا بجسم آرن . . أنقض على تلك إلهد . . أعضها بأسناني . . سمعت عظامها تتحطم . . سمعت صرخة عالية . . لازلت أعض تلك إلهد اللعينة بقوة . . أراد آرثر تخليص يده من أسناني . . لكن عضضتها أكثر . . ذقت طعم الدماء في فمي . . شعرت أن أسناني قوية للغاية . . فهي أسنان كلب . . عضضتها ثانية . . ضربني آرثر بشدة على جانباي . . على رأسي . . تركت إلهد من فمي . . رأيت آرثر يمسك معصمه باليد الأخري . . كان قد ألقي بالفأس أرضاً آنذاك . . قفزت على آرثر مجدداً . . وكأنما دفعني الجبل عليه . . أردت أن أعض رقبته . . لكني فشلت . . فسقطت أرضاً . . ضغط آرثر على رقبتي ووجهي بركبته . . ضغط على وجهي أكثر

فـأكثر.. فغـاص في الوحـل الـذي غطـي عينـاي.. أنفـي.. أذناي.. وجهي مضغوطاً لأعمق في الأرض.. كلما دخل وجهي في الوحـل أكثـر فـأكثر.. كلمـا شـعرت بـأني أقـوي.. شـعرت بنفسـي.. بجسـم الكلـب يكبر شـيئاً فشـيئاً.. يـزداد قـوة.. ضـغطت على نفسي أعمق في الوحل حيث لا يمكن لركبـة آرثر الوصـول إلى.. اسـتطعت الزحـف كثعبـان المـاء مـن تحتـه.. خرجت من جزء من الأرض خلفه.. ما إن رآني حتى قفزت عليه.. عضضته بأسناني ثانية.. فإنتقض.. جري.. لاحقته بنباحي المدوي.. كان أعلى من صوت العاصفة.. قفزت على ظهـر آرثـر الـراكض.. ذلـك الأحمـق ذو الوجـه القبـيح المليء بالندبات.. فهوي أرضاً.. قفزت على ظهره.. عضضت رأسه.. ثم سقطنا كلانا في الأرض.. في الحفرة.. بينما كنت أسقط.. رأيت جسدي الآخر جالسا في بقعة موحلة بأعلى.. نزلت لأسـفل أكثر فـأكثر في الأرض.. المكان مظلم وهـادئ.. مازلت ممسكاً بآرثر بأقدامي وأسناني.. شعرت بخوفه متأججاً كالحرارة.. وفجأة سقط الجبل على جزء من الحفرة ونحن بداخلها وكأنما إبتلعنا بداخله.. لم أخف حينئذ.. بدا الأمر لي بسيطاً وكأني أعود إلى منزلي.. شعرت بالسعادة وكأنما يحضنني الجبل بذراعيه.. إستطعت الرؤية في الظلام في الحفرة.. رأيت مستنقع

بأسفل.. تنعكس عليه صورة القمر.. يكبر المستنقع شيئاً فشيئاً أمامي.. ونحن نقترب منه سريعاً.. علمت أني حينما أسقط فيه.. سأشعر بالدفء.. بالسعادة حيال ذلك.. وما إن إقتربت من المستنقع لدرجة تجعلني أشم رائحته الجميلة.. حتى خرجت من الحفرة ثانية.. خرج شبحي من جسم آرن الذي تركه بأسفل مع آرثر.

بدأت أصعد لأعلى مجدداً.. رأيت آرثر وآرن بأسفل يغوصان في مياه المستنقع التي تصغر أمام عيناي شيئاً فشيئاً وأنا أصعد لأعلى بسرعة.. يحاول آرثر الخروج من الماء.. تتشبث يديه بالحواف الصغيرة للحفرة.. لكن يخرج آرن أيضاً من الماء.. يعض يد آرثر.. يسحبه ثانية إلى الماء.. وصلت إلى حافة الحفرة آنذاك.. لم أر شيئاً في الظلام.. أسمع صرخات ريانون.. صوت الرعد في السماء.. صوت المطر.. خرجت من الجبل.. وصوت الرعد بأذناي.. كل شئ مبتل حولي.. تسللت في الهواء إلى أن دخلت – دخل شبحي – في جسدي الجالس هناك.. فتحت عيناي ثانية.. عدت إلى جسمي الطبيعي.. جسم الصبي.. لا جسم البومة.. ولا جسم آرن.. رأيت خطوط الأمطار الفضية اللون.. كل شئ مبتلا حولي.. وميض آخر – ضوء آخر أبيض اللون يسطع أمام عيناي.. أري درانكل وريانون

يزحفان تجاهي.. يدا ريانون مشوهة.. سيئة للغاية.. سمعت صراخها.. ناديت عليهما.. لكن ليس بأسميهما.. بل بصوت غريب.

هناك رجال شرطة.. غرف.. مستشفيات.. أطباء.. رجال ممسكين أقلاماً يسألوني أسئلة بلا إجابات لها.. التي يطرحها دائما الكبار.. لا، أسئلة صريحة.. واضحة أجبت عليها.. يذكرون إسمي في التلفاز.. في غرفة المستشفي.. تجلس أمي على سريري بالمستشفي وهي تبكي.. درانكل بضمادة ملفوفة حول رأسه كرجل آت من الصحراء.. ريانون في سرير آخر في قسم آخر.. ذهبت لأراها.. كانت نائمة.. هناك أنابيب تدخل في أجزاء جسمها.. يداها ملفوفتين بضمادة كبيرة.. هناك حبوب دواء يجب أن أخذها بانتظام.. تمرينات يجب أن أقوم بها.. كلمات يجب أن أقولها.. وجد جسم آرثر.. شعيت الجنازة بعد دفن جثمانه.. تعجبت لما لم يتركوه بأسفل في الحفرة فحسب.. لم أحضر جنازته.. وكذلك لم يحضر من أعرفهم.. درانكل.. أمي.. ولا حتى ريانون.. بيعت مزرعة ريانون.. انفصلت أمي عن زوجها الوغد.. عشنا جميعاً في مزرعة درانكل.. أنا.. درانكل.. ريانون.. أمي.. لكن بدون

آرن.. كنا نبكي.. نتحدث كثيراً عندما نجتمع في المزرعة على قمة الجبل .

كان هذا في الصيف الماضي.. عادت السماء صافية مشرقة مجدداً.. لازالت بحيرة بالا على الشاشة في غرفتي.. لا زال لا وجود للوحش.. لكن الآن تركتها جانباً.. أنظر من النافذة على الفناء النظيف.. أري درانكل وأمي يرعان خروفاً جديداً في الفناء.. ريانون تجلس على تل القش.. لم تثيرني.. لم تجعل الحرارة تسري بجسدي بعد الآن.. لكنها تشعرني بالدفء فحسب.. أحب أن أراها حتى وإن كانت بذراعين مصابين.. أفكر كثيراً في وقت ممارستنا الحب معاً من قبل.. في تحسسها لي بأصابعها التي لم تعد موجودة الآن.. وذراعها الأيسر مغطي بالضمادات.. أتذكر أيضا البومة.. تجلس ريانون على أكوام التين والقط ذو اللونين الأسود والأبيض يجلس بجوارها.. تبتسم للخروف الجديد.. يبدو أنه يحب ريانون لأنه دائما يتبعها في الفناء.. يجلس بجوارها حتى وإن لم تكن تداعبه.. سأخرج وأتحدث إليه لاحقاً مثلما أفعل كل ليلة.. فهو يستمع إلى ويفهم كلامي وكذلك أنا.. تقيم ابنة ريانون معنا أحياناً.. لكن اليوم هي في منطقة بحر سوان حيث تقيم أغلب الوقت.. هذا عالمي الذي أعيش فيه في المناطق الجبلية العالية .

ينظر درانكل لأعلى.. يراني أنظر إليهما.. يلوح لي بيده مبتسماً.. فألوح له بدوري.. نادني لأنزال إليه.. ففعلت.. ألقيت نظرة أخيرة على البحيرة بالشاشة قبل أن أترك الغرفة.. لازال لا وجود للوحش.. أشحت بنظري بعيداً عنها طارداً تلك الفكرة من ذهني للأبد.

وما إن نزلت إلى منتصف السلم حتى سمعته مجدداً.. نعم.. هذا الصوت بداخل الجبل.. إنه آرن!.. يناديني.. لا يبدو ميتاً.. كما لا يبدو عليه الحزن.. حقاً، إنه كلبي الطيب الذي إبتلعه الجبل.. جاء ليطمئن على فحسب ويطمئنني على نفسه في نفس الوقت.. يقول أنه بخير.. أجلس على السلم منصتاً إليه.. صوت نداؤه من داخل الجبل.. أستمع إليه بكل جوارحي.. يبدو أنني سأعايش حلما جديداً مرة أخري حيث لا أشعر بشئ من حولي.. أحلق في السماء عاليا.. أو أنزل تحت الأرض.. عجباً! أسمع صوته يناديني.. لكني لا أشعر بالدوار.. لا أفقد وعيي.. لا أتخيل نفسي في جسد طائر أو

حيوان آخر.. أشعر بكل شئ من حولي.. لا أصعد إلى السماء.. لا أنزل تحت الأرض.. لا أتخيل نفسي في مكان غير الجبال العالية التي أسكنها الآن مع درانكل.. أمي.. ريانون.. سعدت جداً بذلك.. حمداً للرب لقد شفيت تماما من مرضي.. لا.. بل من أحلامي.. التي يسميها الأطباء نوبات صرعية !